مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: ثلاثة وسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي — جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي — جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي — جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي — الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد — جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل — جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة — جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار — جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان — جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: ثلاثة وسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	— مدير هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	— مقوم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
م. مترجم.نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	— مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـات

العنـوان	الصفحة
الطللية رمزاً للهوية العربية في شعر ما قبل الإسلام أ.د. مؤيد محمد صالح اليوزبكي * و م.م.محمود عمر محمد سعيد	١ - ٣٠
محمد بن إسماعيل الصنعاني اليمني المعروف بالأمير (١٠٩٩ هـ . ١١٨٢ هـ) ومنهج الكشف عن الدلالات اللفظية دراسة في كتابه : تفسير غريب القرآن أ.م.د . أحمد صالح يونس محمد	٣١ - ٦٦
بناء القصيدة الدينارية للمتنبي أ.م.د. نوار عبد النافع الدياغ	٦٧ - ٨٠
سيرة أبي حنيفة النعمان ومتنه : (المقصود) - جمع وتوثيق- أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي و م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	٨١ - ١٠٦
الألفاظ الدالة على الحيوان في آي من القرآن المجيد م.د. صلاح الدين سليم محمد	١٠٧- ١٣٦
قراءة عمرو بن عبيد (ت١٤٤هـ) . جمع وتوثيق ودراسة . م.د.خالد علي سليمان الشمري	١٣٧- ١٦٢
جماليات التصوير الفني في سورة الزلزلة م.د. صبا شاكر محمود الراوي	١٦٣- ١٨٤
قراءة أبي الدرداء (رضي الله عنه)- جمع ودراسة - م.د. رافع عبد الغني يحيى الطائي	١٨٥ - ٢١٠
أثر المصوتات القصيرة في دلالة البنية الصرفية م.د. شوكت طه محمود	٢١١- ٢٥٦
علامات الاتصال غير اللفظية في شعر الشريف الرضي م.د. حمد محمد فتحي	٢٥٧- ٢٧٤
توظيف اللغة من الدال الصوفي الى التعبير الفني في ديوان مدخل الى الضوء للشاعرة وفاء عبد الرزاق م.د. قاسم محمود محمد	٢٧٥ - ٣٠٢
أثر التأقيت في عقد الزواج د. مريم محمد الظفيري	٣٠٣ - ٣٣٠
الوزير العباسي ابن الفرات(٢٩٦ – ٣١٢هـ / ٩٠٨ – ٩٢٤م) وإصلاحاته الإدارية والمالية في الدولة العباسية أ.م.د. مهند نافع خطاب المختار	٣٣١ - ٣٧٦
خانية آسيا الوسطى المغولية دراسة سياسية (٦٢٤- ٧٦٥هـ/١٢٢٦- ١٣٦٤م) أ.د.علاء محمود قداوي و أ.م.د.رغد عبدالكريم النجار	٣٧٧ – ٤٤٤

الإدارة المالية والضرائب في مصر في عهد محمد علي باشا ١٨٠٥-١٨٤٨م م.د أحمد محمد نوري أحمد العالم	٤٤٥ – ٤٨٨
لمحات عن حياة الصحابي محمد بن مسلمة الانصاري "رضي الله تعالى عنه" م.د. سالم عبد علي العبيدي	٤٨٩ – ٥٠٤
منهج التربية الوطنية وتأثيره في التنشئة السياسية للصف السادس الابتدائي دراسة اجتماعية تحليلية أ.م. إيمان حمادي رجب	٥٠٥ – ٥٢٨
مدرسة شيكاغو المبكرة ١٨٩٢-١٩٥٠ دراسة اجتماعية في المكان والتاريخ والتطبيق أ.م. نادية صباح محمود الكبابجي	٥٢٩ – ٥٥٢
"الحياة الاجتماعية العراقية في مرآة الرحّالة الأوربيين" دراسة تحليلية أ.م. حارث علي حسن	٥٥٣ – ٥٧٦
السمات العامة للشخصية الموصلية من خلال الأمثال الشعبية دراسة اجتماعية – تحليلية م.ريم أيوب محمد	٥٧٧ – ٦٠٠
واقع المرأة بين العرف الاجتماعي والقانون دراسة اجتماعية تحليلية م. هند عبدالله احمد و م. إيناس محمد عزيز	٦٠١ – ٦٢٢
التنظيم الأسري ودوره في الحد من الطلاق-دراسة ميدانية في مدينة الموصل م.م داليا طارق عبد الفتاح	٦٢٣ – ٦٤٨
تحليل الاشارات الببليوغرافية لاطروحات الدكتوراه لكلية القانون في جامعة الموصل للأعوام (٢٠٠٢-٢٠٠٦) م. وسن سامي الحديدي م. رفل نزار عبد القادر الخيرو	٦٤٩- ٦٨٨
خطة تنفيذ خدمة الإحاطة الجارية عن طريق الفيس بوك في مكتبة المعهد التقني /الموصل م. أمثال شهاب احمد الحجار	٦٨٩- ٧٠٨

خانية آسيا الوسطى المغولية

دراسة سياسية (٦٢٤– ٧٦٥هـ/١٢٢٦– ١٣٦٤م)

أ.د.علاء محمود قداوي * و أ.م.د.رغد عبدالكريم النجار*

تأريخ التقديم: ٢٠١١/٨/١٤ تأريخ القبول: ٢٠١١/١٠/٥

المقدمة:

غطت دراسات كثيرة تاريخ العصر المغولي ابتداءً من تكوين إمبراطورية جنكيزخان والغزوات المغولية للمشرق الإسلامي وإسقاط الخلافة العباسية في بغداد والعلاقات المغولية المملوكية فضلا عن دراسات تعلقت بالكيانات السياسية المغولية كخانية مغول القفجاق وايلخانية هولاكو وأسرته، وإمبراطورية المغول على عهد أبناء وأحفاد جنكيزخان، في حين كانت الدراسات عن خانية آسيا الوسطى المغولية قليلة بحيث لا نستطيع ان نرصد دراسة واحدة استوفت حق هذه الخانية، وبتقديرينا ان كل من تناولها كان مضطرا على التطرق لحوادثها بشكل مختصر ليستكمل بها موضوعا يخص الإمبراطورية بشكل عام أو علاقات لدول مع هذه الخانية أو تاريخ مدينة. ولعل السبب يكمن في ان تاريخ حوادث آسيا الوسطى على عهد المغول كان مشوشا ومضطربا على حد قول المستشرق الغربي ابل ريزومات الذي قال ((لم تصل ايدينا بعد إلى ما قد نامل معه معرفة شيء عن تاريخ أسرة جغتاي– التي حكمت آسيا الوسطى– ذلك ان ما يروى عنهم، وهو ليس مما كتبه مؤرخون يوثق بهم وما وصلنا من الأحاديث عنهم مضطرب ومشوش.))[١].

وقد أورد المؤرخ الروسي بارتولد وهو مختص في تاريخ آسيا الوسطى في ختام كتابه الموسوم تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ما نصه ((ان تتبع تاريخ

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل
* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل

(1) Resumat, Aat, Abel: Observations Sur Histoire de Mongols', Orientaux de Sannangestzen, Paris Imp rim, 1998, p.15.

مملكة الجغتائيين... هي مهمة تتطلب مصنفا مستقلا يتمم مصنفنا هذا، ولن نخفي على انفسنا ما يحيط بعمل كهذا من صعوبات كبرى سببها هو افتقادنا التام لروايات المعاصرين... على ان الأمل معقود في ان تظهر بمرور الزمان إلى حيز الوجود بقايا من مصنفات كانت موجودة بالفعل في ادب ذلك العصر يكون من شانها ان تعين على فهم فترة من اهلك ما عرفه تاريخ آسيا الوسطى)) [١] وعلى حد علمنا فأن بارتولد لم يصنف ما كان راغباً فيه بدراسة مستقلة عن هذه الخانية سوى ملاحظات ومعلومات مهمة أوردها في كتابه تاريخ الترك في آسيا الوسطى، والكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات ألقاها في جامعة اسطنبول سنة (١٩٢٦- ١٩٢٧م) عن تاريخ الترك والمغول من عهد ما قبل التاريخ التركي إلى العصر الحديث والمعلومات كانت ((أقرب إلى الإشارات المتبلورة منها إلى الشرح المفصل)) كما اشير إلى ذلك في مقدمة الكتاب[٢].

ومع إدراكنا لصعوبة الموضوع، فضلنا الدخول في غماره وتخصصنا في الدراسات المغولية أعاننا كثيرا في الفهم والإلمام بالكثير من الجوانب الغامضة فيه مع محاولة ربط أحداثه وتحليلها بشكل يتوافق علميا مع ما توفر لنا من معلومات ربما البعض منها لم يتح لباحثين كانوا راغبين في دراسة الموضوع بشكل مفصل قبلنا. آملين مستقبلا دراسة الجوانب الحضارية لآسيا الوسطى خلال الحقبة المغولية لتكون مصنفا متكاملا إن شاء الله.

تضمنت الدراسة التي حملت اسم ((خانية آسيا الوسطى المغولية- دراسة سياسية ٦٢٤- ٧٦٥هـ/١٢٢٦- ١٣٦٦م)) العناوين الآتية:

أولاً: التحديد الجغرافي والتسمية.

ثانياً: خانية آسيا الوسطى الجغتائية.

١. خانية آشيا الوسطى على عهد جغتاي (٦٢٤- ٦٣٨هـ/ ١٢٢٦- ١٢٤٠م).

---

(١) بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتش: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات المجلس الوطني للثقافة والآداب،الكويت، ١٩٨٠، ص٧١١.

(٢) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد السلمان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، الصفحة السادسة من المقدمة.

٢. زوجة جغتاي تطيح بمعظم رجالات زوجها وتنصب قراهولاكو خانا للبلاد.
٣. الصراع على منصب الخان الأعظم والإطاحة بقراهولاكو.
٤. مباركشاه يرث عرش والده قراهولاكو.
٥. الغو ينقلب على اريق بوقا وينتزع لنفسه خانية آسيا الوسطى.

ثالثاً: خانية قايدو في آسيا الوسطى.

١. قايدو وتكوين خانيته.
٢. قوريلناي سنة (٦٦٧/١٢٦٩م) وتوطد سلطات قايدو على آسيا الوسطى.
٣. توسيع دائرة حكم قايدو ودوا في بلاد الأفغان واحتواء النوكداريين وغزواتهم لشمال الهند.
٤. التحالف الثلاثي تيمور – نايان – بهلوان والإطاحة بقاديو.
٥. انهيار خانية قايدو وتوحيد آسيا الوسطى تحت حكم الجغتائيين.

رابعاً: آسيا الوسطى في عهد خلفاء دوا وأنهيار حكم الجغتائيين.

خامساً: انقسام بلاد ماوراء النهر إلى ملكيات لا تدين بالتبعية لأحد.

سادساً: خانية كاشغر وظهور تيمورلنك.

أولا – التحديد الجغرافي والتسمية

تحد آسيا الوسطى من الجنوب جبال الهيمالايا ومن الجنوب الغربي هضبة البامير ومن الغرب جبال تيان شان ومن الشمال جبال الالتاي ويابلونوي وستانوفوي ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور(١).

والمجال الجغرافي الذي سنتناول أحداثه السياسية في آسيا الوسطى سيشمل على وجه التحديد أقاليم أربعة هي التركستان ومغلستان وبلاد ما وراء النهر وبلاد الافغان والتي تعرف باسم غزنه أو غزنيين.

وإذا كان الجغرافيون والرحالة العرب ممن تناولوا جغرافية هذه البلاد قد حددوا بشكل واضح حدود إقليم بلاد ما وراء النهر وغزنه فان ذلك الوضوح يختفي تماما مع أقليمي التركستان ومغلستان لأسباب ربما ترجع لبعد المسافة ولكونها مجهولة الأخبار، فعن التركستان أشار القلقشندي والذي استعرض في معرض حديثه عن اي إقليم ما أورده الجغرافيون من معلومات عنه نجد معلوماته الجغرافية عن التركستان قليلة والبعض منها يتضمن كلام عام غير ذي فائدة ولكن ما نلمسه منه في ما يتعلق بالحدود قوله: ((التركستان إقليم فسيح قديم الذكر قاعدته مدينة كاشغر وتسمى أيضاً (ازدو كند) وأقصى مدينة في التركستان في طرفها الشرقي هي مدينة ختن وأقصى مدينة في نهاية الإقليم الغربي هي مدينة جند الواقعة على نهر سيحون في طرفه الشمالي))(٢)، وإذا كان هذا التحديد لا يستوفي فإننا نستطيع وضمن المعطيات الجغرافية الحالية القول أن إقليم التركستان يحده من طرفه الشرقي إقليم منشوريا الصيني علما بأن جزءاً من التركستان الحالية يقع داخل حدود الصين الغربية فيما يعرف بالتركستان الصينية أو الشرقية، واما من جهة الشمال فتحد هذا الإقليم المنطقة الممتدة على طول جنوبي منغوليا امتداد نحو الغرب وصولا إلى الحافات الشرقية انهر ارتيش، ومن جهة الغرب يكون لنهر ارتيش هو

(١) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، الصفحة الأولى من المقدمة.

(٢) القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، ج٤، ص٤٣٩- ٤٤١.

الحد الفاصل بين التركستان وبلاد القفجاق ومن جهة الجنوب يحد التركستان إقليم التبت امتداد حتى فرغانه على الطرف الشرقي من بلاد ما وراء النهر(١).

وفيما يتعلق بحدود إقليم مغلستان فيجب التنبيه أولا على ان هذا الإقليم هو غير بلاد منغوليا، وانه ظهر على الأكثر كإقليم مستقل في العهود المتأخرة من دولة المغول بعد هجرة أعداد كبيرة من بدو منغوليا إلى التركستان الصينية ومنها إلى الأطراف الجنوبية الغربية من التركستان الغربية شمالي بلاد ما وراء النهر بعد الفوضى السياسية التي اجتاحت بلاد الجغتاي في حدود النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي والذي شهد قيام خانية كاشغر ومغلستان والتي على عهدها شاعت فيه هذه التسمية لهذا الإقليم.

وتمتد حدود مغلستان الغربية مع امتداد إقليم الشاش(٢) حتى خجندة(٣) على نهر سيحون وتشكل جبال تالاس الحد الغربي لمغلستان، ويحدها من الشمال الخط الذي يبدأ من كرواتو حتى بحيرة بلخش ويستمر منها حتى يصل جبال طاي باقاي التي تعد حدود مغلستان الشمالية ثم ينحدر باتجاه جنوبي شرقي حتى يصل إقليم تيان شان وإقليم زنكاري اللذين يشكلان القسم الشرقي لمغلستان ويعد نهر تارين الحد الجنوبي لمغلستان(٤).

ويراد بإقليم بلاد ما وراء النهر البلاد الواقعة إلى الشرق من نهر جيحون الذي يحدها من الجنوب خراسان وجبال هندكوش ومن الشرق إقليم فرغانة وتتحدد الجهات

---

(١) عن هذا التحديد ينظر: الخارطة الملحقة بالبحث.

(٢) إقليم الشاش: يطلق عليه اليوم اسم إقليم طشقند الذي تقع عليه مدينة طشقند؛ لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م، ص٤٧٧.

(٣) خجنده: مدينة مشهورة من أعمال فرغانة على طريق سيحون. ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي: معجم البلدان، نسخة مصورة عن طبعة ليدن، ج٤، ص٤٠١.

(4) Dolat, Mirza Mohammed: Tarikh- Rashidi, tr. From Persian by N. Elias and D. Ross, London Curson press, 1973, p.53. Hookham, Hilda: Tamurlain the Conqueror, London. Hodder and Stoughton, 1962, p. 38.

الشمالية الشرقية بالضفة اليمنى لنهر سيحون حتى مصبه في بحيرة خوارزم ومن جهة الغرب حدود خوارزم(١).

وأما إقليم غزنه فيحده من الشمال إقليم باميان ومن الغرب نهر خواش الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب ليصب في بحيرة زره ومن الجنوب تحده مرتفعات قندهار الشمالية امتدادا إلى كابل الواقعة في الجنوب الغربي من غزنه وغزنه تسمى كذلك غزنين وعرفت أيضاً بأسم كابلستان وقصد منها الأراضي التي ضمت غزنه امتداد إلى كابل وقندهار، وقد زارها الرحالة العربي ابن بطوطة سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٦م) (٢) وقال عنها وعن قندهار وكابل بان معظم هذه المدن قد أصابها الخراب على يد المغول وان شعبها يعرف باسم الافغان(٣).

اما البانكتي وهو من مؤرخي المغول وعاش في كنفهم سمى بلاد الافغان بما فيها غزنه وقندهار وكابل ببلاد قندهار التي تشترك بحدود من الشرق والشمال الشرقي بالتبت والصين ومن جهة الجنوب بالهند ومن الشمال ببلاد ما وراء النهر والغرب بخراسان(٤).

وفيما يخص سبب اختيارنا التسمية بخانية آسيا الوسطى بدلاً عن خانية الجغتاي أو خانية قايدو أو كاشغر فالأمر يتعلق في أن هذه التسمية هي الأكثر دقة وشمولية من تسميات هؤلاء الثلاث الذين حكموا آسيا الوسطى خلال المدة الخاضعة للبحث، فالثلاث على الرغم من ان اصولهم مغولية ولكن الاختلاف يكمن في نسب مؤسسيها فينتسب الجغتائيين إلى جغتاي بن جنكيزخان في حين خانية قايدو تنتسب إلى قايدو حفيد اوكتاي

---

(١) أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن محمد: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م، ص٤٨٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٣١؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٧٦- ٤٧٧.

(٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٧٢، ٣٨٧- ٣٨٨.

(٣) ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي: رحلة أبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨م، ص٣٧٧.

(٤) البانكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد: روضة أولي الالباب في معرفة التواريخ والانساب المشهور بتاريخ البانكتي ، ترجمه عن الفارسية، محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٧م، ص٣٥١.

وبالتالي لا يمكن القول ان خانية قايدو هي جغتائية مع انها حكمت على ارض جغتاي. وحدود الخانيتين كانتا متداخلتين لا يمكن الفصل بينهما وكلاهما كان يحكمان ارض التركستان وبلاد ما وراء النهر واحيانا كانت سلطتهما مشتركة وتمتد إلى غزنه اما خانية كاشغر والتي ظهرت في أواخر العقد الرابع من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وقضت على بقايا سلطة الجغتائيين عندما ضم مؤسسها توغلق بلاد ما وراء النهر لخانيته فانه هو الآخر لم يكن جغتائي النسب على الرغم من ادعائه بانتسابه لجغتاي وهكذا نعتقد ان الاختيار اصبح سليما وأكثر قبولا من غيره من التسميات.

وموقع خانية آسيا الوسطى يشكل حلقة الاتصال بين ممالك المغول الأخرى ففي شمالها الشرقي تقع منغوليا حيث مقر الخان الأعظم فيها في العاصمة قراقورم قبل ان ينتقل على عهد قوبلاي خان إلى بكين، والى الشرق منها ولاية الصين وفي الشمال الغربي تقع خانية مغول القفجاق وفي جنوبها تقع التبت والهند وفي جنوبها الغربي ايلخانية إيران وبسبب هذا الموقع كان لهذه الخانية التأثير والتأثر في الأحداث السياسية التي شهدتها إمبراطورية المغول كما سنلاحظ ذلك في سياق هذا البحث.

ثانيا: خانية آسيا الوسطى الجغاتية:

١. خانية آسيا الوسطى على عهد جغتاي (٦٢٤- ٦٣٨هـ/١٢٢٦- ١٢٤٠م) :

المتتبع لتاريخ المغول يقف على الكثير من المعلومات التفصيلية في المصادر التاريخية عن الحملات المغولية التي قادها جنكيزخان وأبناؤه وأدت إلى إسقاط الدولة الخوارزمية في آسيا الوسطى[١] التي آلت أملاكها إلى جغتاي الابن الثاني لجنكيزخان بموجب تقسيمات جنكيزخان لأملاك إمبراطوريته التي وزعها على أبنائه الأربعة اوكتاي الذي اختص بموطن المغول الأصلي منغوليا وجوجي بالبلاد الواقعة غربي نهر ارتيش

(١) عن حملات جنكيزخان وإسقاط الدولة الخوارزمية ينظر: النسوي، محمد بن احمد: سيرة السلطان جلال الدين منبكرتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٣م، ص١٠٤- ١٠٥؛ الشافعي، عبد الرحمن بن اسماعيل، نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية، تحقيق: سهيل زكار، منشورات التكوين للتاليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٨م، ص٣٠- ٣٣.

امتدادا إلى ارض جنوب القوقاز غرب بحر قزوين والتي عرفت بأسم بلاد مغول القفجاق وجغتاي ببلاد الايغور (التركستان) وبلاد ما وراء النهر[١].

وبموجب هذه التقسيمات التي كان جنكيزخان قد أصدرها بحدود سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٢م) فان جغتاي لم يمارس سلطته الفعلية على مملكته الا بعد وفاة والده سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م)[٢].

آلت إمبراطورية المغول بعد وفاة جنكيزخان لابنه اوكتاي الذي تم تنصيبه خانا اعظم للمغول سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)[٣]، وعرف عن اوكتاي حزمه وحذره من اطماع جغتاي في الخانية، وكان يمتلك مؤشرات لهذه الأطماع منها ان جغتاي، كان يفضل الإقامة في العاصمة قراقورم بدلا من بيش بالق[٤] التي كانت مركز لحكومة جغتاي وكون جغتاي اكبر أبناء جنكيزخان وأكثرهم معرفة بالقوانين واصول الملك فاستغل ذلك لكسب الأتباع من الأسرة الحاكمة لعزل اوكتاي والحلول محله. ولكن أوكتاي شعر بذلك ولهذا نسب ابنه كيوك ليكون ملازماً لجغتاي ومراقبا له[٥] كما انه حدد سلطته على خانيته في التركستان وبلاد

ما وراء النهر بما لا يتعدى الشؤون المالية، وجرده من ممارسة السلطة السياسية على هذه

(١) الجويني، عطا ملك: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية: محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥م، م١، ص٧٣- ٧٤؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص٣٠٨- ٣٠٩؛ العريني، السيد الباز: المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م، ص١٥٨.

(٢) الصياد، فؤاد عبد المعطى: المغول في التاريخ، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٣٨.

(٣) قزويني، القاضي غفاري: تاريخ جهان ارا، كتبخانة تهران ايشنكاه، سرجشمة، يبايات، ص٣٠٣.

(٤) بيش بالق، تقع في الجزء الشرقي من التركستان الصينية بالقرب من مدينة كوجين، بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٣٦.

(٥) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ، ((تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قا آن))، ترجمه من الفارسية إلى العربية: فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٤٦- ١٤٩.

البلاد عندما كلف محمود يلواج الذي كان وزيرا ومستشارا له ولأبيه[١] من قبل بإدارة حكومة جغتاي في التركستان وبلاد ما وراء النهر متخذا من مدينة خجنده مركزا له على ان يكون مسؤولا أمام اوكتاي عن أوضاع هذين الإقليمين وان يمنح ريع البلاد لجغتاي[٢]. قاوم جغتاي إرادة اوكتاي هذه، ولكن من دون ان يظهر ذلك علنا من خلال تركه قراقورم ليقيم في بيش بالق وفيها كّون جيشا خاصا به قوامه أربعة آلاف فارس، كما اظهر امتعاضه من تجاهل محمود يلواج لإرادته بناءا على توصية من اوكتاي في ان امر النظر في شؤون ولايته يتم من خلال التشاور معه[٣] وبهدف الإيقاع بيلواج وعزله من منصبه اصدر جغتاي مرسوما مزورا باسم اوكتاي يفوض فيه قسم من بلاد ما وراء النهر التي كانت بيد يلواج إلى شخص آخر، ولكن يلواج الذي كان قد خبر السياسة وألاعيبها قادر على إجهاض أفعال جغتاي ضده، فعرض يلواج ذلك المرسوم على الخان اوكتاي للإيقاع بجغتاي فأرسل اوكتاي المرسوم المزور إلى جغتاي طالبا منه ان يكتب الرد ويوافيه به. عندها أدرك جغتاي ان الأمر قد انكشف فكتب جوابا لاوكتاي خان قال فيه: ((لقد فعلت هذا عن جهل، وبغير هدى، وليس لدي اي جواب استطيع كتابته، ولكن لان الخان قد امرني بالكتابة، تجرات وكتبت هذا القدر.)) فعفى عنه أوكتاي، ولكن جغتاي اخذ في مجلسه يشتم يلواج[٤].

(١) محمود يلواج الخوارزمي: كان قد التحق بخدمة جنكيزخان قبل هجومه على املاك الدولة الخوارزمية، ولما كان يقوم بمهمة السفير لجنكيزخان إلى السلطان علاء الدين خوارزمشاه لقب بلقب (يلواج) وهولقب تركي معناه السفير أو المبعوث وكانت اول سفارة لمحمود سنة (٦١٤هـ/١٢١٦م) ومنذ ذلك التاريخ بقي محمود في خدمة جنكيزخان وعينه وزيرا ومستشاراً له وبعد استيلائه على بلاد ما وراء النهر عينه حاكما عليها وليبقى على هذا المنصب في عهد اوكتاي ولتفاصيل اكثر عن محمود يلواج ينظر خواندمير غياث الدين: دستور الوزراء، ترجمه عن الفارسيه: حربي امين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٣٣٠– ٣٣١؛ الصياد: المغول في التاريخ، ص٥٥.

(٢) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١ن ص١٢٢؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٣١؛ بارتولد، تركستان، ص٦٥٤– ٦٥٥ والهامش (١٨) من ص٦٥٤، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص١٨٥.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٤٦، ١٤٩؛ بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص١٨٥.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٥٧.

كان لجغتاي وزير اسمه وزير حدث ان التقى بيلواج وجرى بينهما حوار ساخن اتهم فيه يلواج وزير بانه وراء تحريض جغتاي ضده آملاً في ان يحل محله وهدده بالقول: ((انا نائب القاأن- على بلاد ما وراء النهر والتركستان- فلن يستطيع جغتاي قتلي من دون استشارته، اما إذا انا شكوتك إلى القاأن فسوف يقتلك، فانت إذا تداركت امرك، ولم تتعرض لي بسوء فيها والا فسأشي بك في حضرة القاأن، ولو تفوهت بهذا الكلام في حضرة جغتاي فسوف انكره مهما سئلت عنه، وليس لك علي اي شاهد.)) ففهم وزير قدرة يلواج وكف عن الكيد له[١].

عرف عن جغتاي كرهه الشديد للمسلمين، فلم يكن بوسعهم أيام دولته الوضوء في المياه الجارية او ان يذبحوا البهائم وفقا للشريعة الإسلامية إلا في السر، ولم يقتصر الأمر على المناطق التي كانت تحت سلطانه المباشرة، بل تعداه حتى لم يعد بوسع المسلمينا في خراسان الذبح ان جهرة في حياة جغتاي، مما اضطر عددا كبيرا منهم إلى ان يأكلوا لحما كانوا هم انفسهم يعدونه ضربا من لحم الميتة[٢]، وفي المقابل فان رأفت محمود يلواج بالناس وعدله وحسن ادارته كانت وراء التخفيف من حدة معاناتهم من جغتاي، وكانت المحلة والأسواق المحيطة بقصره تمتلئ دائما بالناس فتحييه بحماس شديد عندما يخرج لها، وعندما حدثت حركة تمرد قادها احد دهماء بخارى يدعى ترابي الذي عبث بحياة المسلمين واحرز النصر على عسكر المغول ونهبت منازل الاغنياء مدعياً الكرامات لكسب الاتباع، فاتسعت حركته واخذت ابعادا لم يعد بوسع المغول تجاهلها، فأرسلوا إلى يلواج الذي كان مقيما في خجنده يطلبون منه اخماد هذه الحركة، فتحرك إلى بخارى يدعو انصاره إلى القضاء على حركة ترابي التي عدهما مارقة، فدخل بخارى والتف حوله غالبية اهلها وبمساعدة يلواج تم انقاذ مدينتهم بطرد ترابي الذي قتل بعد طرده من بخارى. اما عن مصير من شارك مع ترابي فقد بذل محمود يلواج جهدا كبيرا في اقناع الأمراء المغول ممن كانوا مسؤولين عن حماية بخارى بتاجيل معاقبة هؤلاء حتى يعلموا رأي

(١)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٥٧.

(٢) الجويني، تاريخ فاتح العالم م١، ص٢٤٨؛ الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٧٣- ٧٤؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٢٤.

اوكتاي خان في ذلك، واستقبل اوكتاي رسل يلواج بعين العطف ووافق على العفو عنهم وذلك سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) [١].

وعلى الرغم من هذه الأحداث فان بلاد ما وراء النهر قد انتعشت احوالها على عهد حكم محمود يلواج الذي وصفه الجويني بأنه الرجل الذي أصلح المفاسد بآرائه السديدة وضرب بيد من حديد على الثائرين والمدعين، وأزال العواقب من الطرق والمدن وعمر البلاد بعد الخراب الجنكيزخاني فبلغت بخارى على عهده أقصى غاية في الرقي تفوق كل مدن الشرق الإسلامي نشاطاً وتوافدت عليها وفود العلماء والطلاب فاستعادت رونقها في البناء، ومكانتها في العلم ، مما خفف على السكان الأعباء والأثقال الماضية[٢].

ونظرا للنجاح الكبير الذي أحدثه يلواج في بلاد ما وراء النهر ونيله ثقة اوكتاي خان الذي رأى ان من المصلحة تعمير بلاد الختا (الصين) على ما كان قد أصابها من خراب وكان خير من يصلح لهذه المهمة هو محمود يلواج الذي غادر بلاد ما وراء النهر بناءا على مرسوم اوكتاي خان بتعيينه حاكما على بلاد الصين[٣]. وليعيد أوكتاي بلاد ما وراء النهر لحكم جغتاي المباشر، وكان من ثمار ذلك أن تحسنت العلاقة بين أوكتاي وجغتاي وعلى حد قول رشيد الدين الهمذاني فان جغتاي اخذ مع أخيه اوكتاي (يسلك طريق الاتفاق والتعاون في كل الأمور)[٤]. وكان من ثمار ذلك ان أعاد اوكتاي بلاد ما وراء النهر لجغتاي ليحكمها بشكل مباشر.

وكان لجغتاي وزير اسمه وزير الذي سبقت الإشارة اليه واصله من الختا قد عرف عنه النباهة والمعرفة باحوال المغول وسرد الحوادث، ولما كان جغتاي يعشق

(١) الجويني، تاريخ فاتح العالم، م١، ص١٢٠– ١٢٥؛ فامبري، ارمينيوس، تاريخ بخارى، ترجمه احمد محمود الساداتي، منشورات المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر، ص١٨٥– ١٨٨؛ بارتولد، تركستان، ص٦٦٦.

(٢) تاريخ فاتح العالم، ط١ن ص١١١، ١٢٠.

(٣) جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٩٣؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٢٧.

(٤) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٤٩..

المعارف والحكم ضم هذا الرجل إلى حاشيته، وحدث ان حضر وزير مع جغتاي مجلس اوكتاي خان فأعجب به وأطلق عليه اسم وزير[١].

كان هذا الرجل قصير القامة، حقير المنظر لكنه شجاع جداً، وقد بلغت مرتبته أسمى الدرجات إلى حد انه كان يتصدر اكثر الأمراء، وكان أكثر من الجميع جرأة على الكلام في مجلس جغتاي إلى درجة انه ذات يوم شرعت زوجة جغتاي تتحدث عندما كان وزير يعرض وجهة نظره في أمور تخص البلاد، فصرخ في وجهها قائلا ((انك سيدة ولا يجوز لك الكلام في هذا الموضوع)) [٢].

وانشغل وزير على حد قول رشيد الدين الهمذاني في شؤون الأسرة الحاكمة من دون ان يبدي اي ضرب من الاهتمام بالسكان ومنزلته أتاحت له الجرأة على قتل إحدى كنائن جغتاي عندما اتهمها بان لها علاقة مريبة بأحد الأشخاص وعندما علم جغتاي بذلك قال له وزير ((كيف يجوز لكنتك ان ترتكب عملا شائنا، وتسيء إلى سمعة السيدات الأخريات)). فأستحسن جغتاي منه ذلك[٣].

ولشدة تدخلات وزير وعدم تركه اثرا طيباً فقد قال لجغتاي ذات يوم ((انني لم ادع لك اي شخص من الأصدقاء، ولهذا فلن يرحمني احد من بعدك)) [٤].

ولا تسعفنا المعلومات عن اي عمل قام به وزير في عهد جغتاي الذي على ما يبدو ان فترة حكمه كانت قصيرة خالية من الأهمية لذا لم يتناولها مؤرخو المغول أو غيرهم الا بالقدر الذي أشار اليه رشيد الدين مما ذكرناها أعلاه. وفي أواخر عهد جغاتي وبحكم اختلاطه بالمسلمين وحكمه لهم تغيرت طبائعه تجاههم، فقرب ذوي الخبرة والمعرفة الإدارية إليه فعين منهم وزيرين الأول اسمه هجير عهد اليه بجميع شؤون الدولة والثاني

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيزخانن)، ص١٥٥- ١٥٦.

(٢)الهمذاني: جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيزخانن)، ص١٥٦.

(٣)الهمذاني: جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيزخانن)، ص١٥٦- ١٥٨.

(٤)الهمذاني: جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيزخانن)، ص١٥٨.

اسمه حبش عميد اصله من مدينة اترار اشتغل في التجارة فتعرف عليه جغتاي وفوضه حكم بلاد ما وراء النهر[١].

وبتأثير من حبش الذي كان قد نال ثقة بيت جغتاي فقد كلف فضلاً عن مهامه الإدارية مهام تربية أبناء جغتاي فغرس حبش في الأبناء المحبة للإسلام والمسلمين[٢] حتى ان موجي احد أبناء جغتاي سُمي حفيده باسم احمد[٣] تعبيرا عن هذه المحبة ليفتح بعد ذلك الطريق لآخرين من بيت جغتاي على إعلان إسلامهم دون اعتراض من جغتاي[٤]. كما كان طبيب جغتاي الخاص رجلا مسلما اسمه مجد الدين لازم جغتاي في معالجته من مرض عضال داهمه في آخر حياته[٥].

توفي جغتاي سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) قبل اشهر من وفاة اوكتاي سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤٠م) [٦] وعلى ما يبدو فإن اوكتاي كان مطلعا على احوال بلاد ما وراء النهر وان جغتاي وإدارته متمثلة بوزير وحبش لم يرتقيا بالبلاد نحو الأحسن لا بل ان البلاد قد أصابها التدهور لذلك اصدر مرسوما بتكليف مسعود بن محمود يلواج بإدارة كل املاك جغتاي في آسيا الوسطى ابتداءً من بيش بالق وقراخوجو اللتين كانتا ولايتين ايغورية والختن والماليق وقياليق وسمرقند وبخارى حتى شاطئ جيحون[٧].

---

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٤٩؛ الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٥٥، ١٥٨.

(٢) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠؛ عبد الحليم، رجب محمد، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، ١٩٨٦م، ص٧٥.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٣٩؛ البانكتي، تاريخ ابنانكتي، ص٤٣٢.

(٤) وعن أسماء من تسمى من بيت جغتاي بأسماء إسلامية ينظر: الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٣٨– ١٤٠.

(٥) الجويني، تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٤٩.

(٦) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٤٩.

(٧)الهمذاني: جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيزخانن)، ص٩٣– ٩٤؛ البانكتي: تاريخ البانكتي، ص٤٢٧؛ شبولر، برتولد:، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة: خالد اسعد عيسى، دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٢م، ص٨٥.

٢. زوجة جغتاي تطيح بمعظم رجالات زوجها وتنصب قراهولاكو خانا للبلاد:

وبحسب عادات المغول تتولى الزوجة الاثيرة للخان المتوفي شؤون الحكم لحين اختيار خليفة له[١]، وبموجب هذا العرف تولت بيسلون الزوجة المحببة لجغتاي الخانية لاؤلوس جغتاي في آسيا الوسطى بعد وفاة زوجها[٢] وقد صرفت جهودها خلال مدة حكمها القصير في تصفية كل من كان يعترض أو لا يرغب في تنصيب حفيدها قراهولاكو ليخلف جده على الخانية وكان على رأس هؤلاء الوزيرين وزير وهجير والطبيب مجد الدين فدبرت من اتهمهم بأنهم كانوا وراء موت زوجها[٣]. فقضى على وزير بتهمة انه سقى جغتاي سماً، مع ان وزير كان قد بلغ اسمى الدرجات إلى حد انه كان يتصدر اكثر الأمراء وانه ليس من مصلحته التخلص من جغتاي[٤]، اما الوزير هجير والطبيب مجد الدين فقد أشار مؤرخ المغول الجويني، إلى ان مجد الدين كان قد أخلص في مداواة جغتاي، وكان يشفق عليه، كما كان الوزير هجير محل ثقة جغتاي ولم يظهر ما يخالف ذلك ومع ذلك أمرت بيسلون بقتلهما مع أولادهما دون ذنب سوى رغبتها في التخلص من أركان حكم زوجها[٥] واحلال محلهم من كان يطاوعها في رغباتها ومنهم الوزير حبش عميد الذي سبق له ان نال الحضوة لديها زمن زوجها ولهذا لم تتعرض له لا بل اكرمته عندما قربته إلى بلاطها وقدمته على الآخرين فكان طوعا لها في دعم موقفها في تنصيب حفيدها قراهولاكو وأفلحت في ذلك كما يشير الجويني بان بيسلون وحبش عميد اجلسا الامير قراهولاكو على خانية جغتاي[٦] وحافظ حبش على عهد قراهولاكو على مكانته

(١) قداوي، علاء محمود: النساء الحاكمات في امبراطورية المغول، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، العدد ٤٦، ١٩٩٩م، ص١٤٣.

(٢) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠؛ الهمذاني، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٣٥.

(٣) الجويني: تاريخ فاتح العالم،م١، ص٢٤٩؛ الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٥٨.

(٤) الهمذاني، المصدر نفسه، ص١٥٦، ١٥٨.

(٥) تاريخ فاتح العالم،م١، ص٢٤٩.

(٦) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠.

كوزير للبلاد دون منافس[١] بعد هروب مسعود يلواج الذي هو الآخر خاف على نفسه من أن يطاح به[٢] بعد ان اشتد الصراع على السلطة اثر وفاة الخان اوكتاي وما أحدثته وفاته من دسائس ومؤامرات كان لها تأثيرها المباشر على خانية اولوس جغتاي في آسيا الوسطى.

٣: الصراع على منصب الخان الأعظم والإطاحة بقراهولاكو:

ارتبط مصير قراهولاكو بوصفه خاناً لخانية آسيا الوسطى بالصراع الذي شهدته الأسرة المغولية الحاكمة على منصب الخان الأعظم، فقد تنافس على هذا المنصب ثلاثة من الأبناء هم كيوك وكوتان أبناء اوكتاي وشيرامون بن كوجو بن اوكتاي[٣]. وعلى الرغم من ان أوكتاي خان كان قد اختار شيرامون لولاية العهد[٤]، ولكن العرف المغولي لا يعطي له الحق في الخلافة الا بموجب القرارات التي تتخذها العائلة الحاكمة والأمراء الكبار في المؤتمر العام الذي فيه يتم الاتفاق على المرشح الأوفر حظا. وفي العادة لا يتم انعقاد هذا المؤتمر الا بعد ان تنضج الافكار وتتغلب الميول نحو واحدا من المرشحين عند ذاك يتقرر موعد المؤتمر (القوريلتاي).

ولهذا فان كل مرشح وأتباعه يسعون وبمختلف الطرق إلى كسب المؤيدين لهم بالمال والهدايا والوعود والتهديد وأحيانا بالقتل إذا لم تنفع وسائل الإغراء الأخرى وقد اتيحت لكيوك الفرصة اكثر من الآخرين في الحوز على هذا المنصب كونه كان مدعما

(١)الجويني: تاريخ فاتح العالم ، م١، ص٢٥١.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٧٧– ١٧٨؛
Spuler: History of the Mongols Basedon Eastern and Western Aceounts of the Thirteen and For ten the Centuries, Translated by, Helga, London, 1972, p.14.

(٣) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٢٢– ٢٢٥؛ الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨٠– ١٨١؛ البانكتي: تاريخ البانكتي، ص٤٢٧– ٤٢٨.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨٠.

من قبل والدته توراكنة خاتون زوجة اوكتاي خان التي كانت قد تولت مهمة تصريف شؤون الحكم لحين انتخاب خان جديد للبلاد(١).

وفي المقابل كان شيرامون وكوتان يحضون بدعم العديد من كبار امراء الدولة الذين كانوا راغبين في الميل إلى شيرامون كون اوكتاي خان كان قد اختاره لولاية العهد وان من الواجب احترام هذه الرغبة(٢)، اما كوتان فان مكانته كانت كبيرة لدى الأمراء ولكن ما كان يعترض ترشيحه مرضه المزمن(٣)، وكانت توراكنة خاتون تدرك هذه الحقائق لذلك استخدمت براعتها ودهائها وكفاءتها في إدارة الصراع لمصلحة ابنها ووفقا لرواية الجويني فإنها تمكنت من جذب ((قلوب الأقرباء بأنواع الاصطناع والهدايا والتحف، ومال اليها أكثر الأجانب والعشائر والأقارب.. ثم أخذت تترصد لكبار الخصوم لتعطي كل واحد حقه من العقاب))(٤).

وقد استخدمت الحيلة في الإيقاع بمحمود يلواج حاكم ولاية الختا (الصين) عندما أرسلت سفيرها إلى الختا تستدعيه بحجة تكليفه لكي يتحايل على الوزير جيناق للقبض عليه، ومع ان المصادر لا تشير إلى وقوف محمود يلواج ضد ترشيح كيوك لمنصب الخانية ولكن الإيقاع به كان بتدبير من حاجبه لتوراكنة خاتون اسمها فاطمة التي دبرت المكيدة له عند سيدتها كونها كانت تضمر عداءا قديما ليلواج. وقد اكتشف يلواج ما كان يدبر له، فالتجأ إلى ابنها كوتان الذي آمنه وشمله بعطفه ورفض تسليمه لامه رغم تكرار طلبها(٥)

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٢٢؛ ابن العبري، أبي الفرج جمال الدين، تاريخ الزمان، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٩٠.

(٢) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م٢، ص٢٠٩.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨١.

(٤) تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٢٢- ٢٢٣.؛ وينظر كذلك: البانكتي: تاريخ البانكتي، ص٤٢٧؛ بارتولد و.و، تركستان نامه، ترجمة: كريم كشاورز، انتشارات بنياد فرينكك إيران، ١٣٥٢هـ، ص١٠٠٢.

(٥) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٢٣؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٢٨.

اما الأمير مسعود بن محمود يلواج الذي كان حاكما على بلاد ما وراء النهر فقد اثر الهروب والالتجاء عند باتوخان مغول القفجاق[١] رغم عدم اتهامه بمعاداة توراكنه خاتون ومعارضة تنصيب ابنها للخانية ولكنه خاف ان يؤخذ بجريرة والده لذلك اثر السلامة بقرار احتمائه بباتو. في حين كان القتل نصيب الكثير من الأمراء ومنهم الأمير كوركوز حاكم ولاية خراسان[٢] وكوركوز كان قد استدعيّ إلى العاصمة قراقورم ليحاكم على تهم لفقت له، والغريب في الأمر ان المجموعة التي كانت ترافق كوركوز كان بضمنها قراهولاكو الملقب بقرا أغول وخواتين من بيت جغتاي جميعهم كانوا بصحبة الأمير ارغون المكلف بهذا الاستدعاء[٣].

والهمذاني الذي أورد هذه المعلومة لا يعطينا سببا عن تواجد قراهولاكو مع كوركوز هل هو الاخر كان متهما بالوقوف ضد ترشيح كيوك ام انه حضر للعاصمة للاعراب عن دعم ترشيح كيوك وابعاد الشبهة عنه لاسيما وان الهمذاني يشير بكل وضوح إلى ان من كثرة عمليات الانتقام التي قامت بها تروا كنه خاتون ضد خصومها (في تلك الفترة المليئة بالفتن والاضطراب اذ اخذ كل شخص يلجأ إلى مكان ويتمسك بحمايته، كما كان كل واحد يتذرع بنوع من الحجج لتبرير موقفه) [٤].

فلو كان قراهولاكو متهما لكان الأجدر به وهو خانا لبلاد ما وراء النهر والتركستان ان يحتمي ببلاده بدلا من الحضور ليوقع بنفسه في خشبة الأعدام. ولهذا نقول ان حضور قراهولاكو لا يعطي دالة على انه متهم وإذا كان كذلك فانه ربما قد وقع في مكيدة دبرت له مثلما دبرت لكوركوز.

وإذا كان متهماً فعلا فان عملية معاقبة كل من وقف ضد انتخاب كيوك للخانية قد جرى قتلهم باستثناء من كان من أمراء الاسرة الحاكمة فقد جرى العفو عنهم بقرار أصدره كيوك خان فهل كان قراهولاكو من ضمن من اعفى عنهم، هذا الأمر لا يمكن

(١)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٧٧– ١٧٨؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٢٨.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٧٨.

(٣)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٧٨.

(٤)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٧٨.

البت فيه، ولكن قراهولاكو لم يستثني من العقوبة وان كانت قد بررت بطريقة لا توحي بأن لها علاقة بموقفه من انتخاب كيوك للخانية.

فبعد ان انتخب كيوك خانا أعظم لإمبراطورية المغول بموجب القوريلتاي الذي انعقد في ربيع سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) [١] على ضفاف بحيرات غرب منغوليا في موضع يسمى كوكاناوور[٢]، فان الأجراء السياسي الذي اتخذه كيوك تجاه قراهولاكو هو عزله عن خانية جغتاي وتنصيب ييسوبن جغتاي بدلا عنه وبرر ذلك بعدم جواز الحفيد ان يرث العرش في الوقت الذي ما زال فيه احد أبناء الخان على قيد الحياة[٣]، وهذا التبرير لا يتوافق مع ما كان معمولاًبه في خانية المغول لوجود شواهد منها ان اوكتاي خان كان قدى اعطى ولاية العهد لحفيده شيرامون مع وجود أبناء له احياء[٤] والأمر ذاته قام به اخيه جغتاي مع قراهولاكو[٥].

وقد فكر الجويني ان سبب عزل قراهولاكو (قرا أغول) هو ان كيوك خان كان على صداقة وصفاء مع ييسو، ولهذا فضل كيوك ييسو على قراهولاكو[٦].

وايا كانت الأسباب فان قرار عزل قراهولاكو قابله كيوك بقرار اخر تم فيه تبرئة محمود يلواج وابنه مسعود من اية تهمة بعد ان تبين من خلال محاكمة فاطمة انها كانت وراء الكثير من الدسائس الملفقة ضدهما[٧] فتم تثبيتهما في منصبهما محمود يلواج على

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٩٠؛ براون، ادوارد جرانفيل: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: ابراهيم امين الشواري، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٤م، ص٥٧٤؛ العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، ١٩٣٥، ج١، ص١٤١.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨٠.

(٣) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م٢، ص٢٣٥؛ الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨٢؛ البانكتي، تاريخ البانكتي ، ص٤٢٨- ٤٢٩.

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨٠؛ اقبال، عباس: تاريخ المغول من حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م، ص١٧٣.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٥٠.

(٦) تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠.

(٧)البانكتي: تاريخ البانكتي ، ص٤٢٧- ٤٢٨.

الصين ومسعود على آسيا الوسطى وقد تسلم كل منهما يرليغ (مرسوما) وبايزه برأس أسد[١]. اما قراهولاكو فلم يسمح له طيلة حكم كيوك التدخل في شؤون الحكم.

٤: مباركشاه يرث عرش والده قراهولاكو:

لم يكن ييسو الرجل المؤهل لقيادة خانية آسيا الوسطى المغولية، اذ كان معظم وقته مشغولا بملذاته الشخصية ولا يفيق من السكر لكثرة ما كان يحتسي من خمر، وكانت زوجته يايشي (تقاشي) هي التي تدير شؤون الحكم من الناحية الاسمية[٢]، لكن واقع الحال فأن مسعود يلواج الذي كان من جملة الأمراء ممن حضر بلاط كيوك خان لتقديم التهنئة، واختصه كيوك خان بالرعاية لصدق إخلاصه له، هو الحاكم الفعلي لبلاد ما وراء النهر والتركستان وكانت مرجعيته هو كيوك خان[٣]، اما الوزير حبش عميد فان صلاحياته لم تكن تتعدى النظر في شؤون متطلبات الأسرة الحاكمة ومتطلبات بلاط الخان اليومية، ومقامه لم يطل اذ اتهمه ييسو بانه منحازا لقراهولاكو فعزله عن الوزارة وعين بدلا عنه بهاء الدين المرغياني وكان حبش عميد قد تبنى بهاء الدين في طفولته لوفاة والده المبكرة واعترافا بفضل حبش عليه توسط بهاء الدين لدى ييسو في عدم إيذاء حبش وأنقذ حياته من القتل[٤].

ويشيد الجويني بالوزير بهاء الدين الذي كان قد التقاه سنة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م) في بيش بالق عند زيارته لييسو فذكر عنه ((انه كان يؤدي واجباته الملكية خير اداء... فهو ذو نسب عال وشرف مكتسب جمع بينهما فأحسن، فهو من جهة أبائه يرجع إلى شيخ إسلام فرغانة... والدته شريفة النسب، اما شرف الاكتساب فهو في علو مقامه في الوزارة، ولكسبه لانواع العلوم الدينية والدنيوية معا...)) [٥].

---

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٣٦؛ الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨٤.

(٢) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠، م٢، ص٢١٨– ٢١٩.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيوخان)، ص١٨١، ١٨٤.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠.

(٥) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٢.

انفجر الصراع على كرسي الخان الأعظم في أعقاب وفاة كيوك خان سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، فقد انشغلت اوغل غايميش أرملة كيوك خان التي تولت شؤون الحكم لحين انتخاب خان جديد للبلاد في إدارة الصراع في بيت الأسرة الحاكمة من اجل حصر الخانية في بيت اوكتاي[١] وتنافس على هذا المنصب اثنان من أبناءها هما خواجه وناقو وشيرامون[٢]حفيد اوكتاي من ابنه كوجي الذي سبق له ان كان مرشحا على خلافة اوكتاي ليخسر الترشيح لمصلحة كيوك.

ومع ان الثلاثة كانوا من عائلة اوكتاي غير ان التنافس بين خواجه وناقو وعدم انصياعهما لرأي والدتهما في تنازل احدهما لمصلحة الآخر، اضطرت اوغل غايمش على دعم ترشيح شيرامون، غير ان هذا الانحياز زاد الأمر فرقة فانقسم الأمراء بين هؤلاء وازدادت الفرقة بين الثلاثة مع مرور الأيام[٣].

وكان بيسو مطلعا على هذا الخصام فكتب إلى الثلاثة يحثهم على المصافاة والتوافق ويطلب من خواجه وناقو الإشفاق على والدتهما والاستجابة لرأيها[٤].

وفي المقابل كان خان مغول القفجاق باتو بن جوج بن جنكيزخان المسموع الكلمة بين الأسرة الجنكيزخانية كونه الأكبر سناً بين الأمراء الأحياء يدير مؤامرة لنقل الترشيح من أسرة اوكتاي إلى أسرة تولوي بن جنكيزخان عندما اشترك مع سيورقتيتي زوجة تولوي في ترشيح ابنها منكو لمنصب الخان الأعظم مبررا ذلك بمعرفة منكو بقوانين جنكيزخان وكفاءته في قيادة الجيوش ورجاحة عقله ووجد ان ((المصلحة تقتضي ان يجلسه على عرش الخانية))[٥].

---

(١) اقبال، عباس: تاريخ إيران بعد الإسلام: ترجمه عن الفارسية، محمد علاء الدين منصور، منشورات دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٤١٥.؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ المغول العظام والايلخانيين، دار النفائس، ٢٠٠٧م، ص١١٤، ١٢٣.

(٢)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨٦؛ اقبال، تاريخ المغول، ص١٧٥.

(٣)الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٤٢، اقبال: تاريخ المغول، ص١٧٥.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٤٢.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٩٩- ٢٠٠.

وكأن باتو أراد بهذا الترشيح ان ينتقم من أسرة اوكتاي لانه يُحمل اوكتاي مسؤولية مقتل والده جوجي[١]، فضلا عن خصومته مع كيوك الذي كان قد اعد جيشا ضخما لغزو بلاده ولكن المنية عجلت بوفاته قبل ان ينفذ اعتداءه على بلاد القفجاق[٢].

ولتكتمل خيوط المؤامرة دعا باتو لعقد مؤتمر قوريلتاي لأنصاره لانتخاب منكو وقد وقف ضد ترشيح منكو أبناء جغتاي[٣] وعلى رأسهم بيسو[٤] باستثناء قراهولاكو الذي دعم ترشيح منكو انتقاما لعزله من قبل كيوك وحضر لوحده المؤتمر من بيت جغتاي الذي غاب عنه كذلك أبناء اوكتاي وكيوك[٥].

وهنا تشدد باتو مع المعارضين لمنكو وطالبهم بالحضور إلى كوران موضع بالقرب من قراقورم لإعلان ولائهم لمنكو وأرسل أخاه بركة على رأس جيش كبير يلزمه بقطع رأس كل من يخالف أمره، فما كان أمام هؤلاء الا الحضور ومعهم بيسو ليعلن الجميع موافقتهم على خانية منكو[٦].

ولكن هؤلاء المعارضين لم تكن نيتهم صادقة عندما منحو يمين الولاء لمنكو اذ سرعان ما دبروا مؤامرة لقتل منكو اثناء مراسيم الاحتفال بتتويجه خاناً اعظم وذلك في ربيع الآخر سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٥١م) [٧]، فانكشفت عربة من عربات السلاح التي ادخلت إلى موقع الاحتفال ليقبض على معظم المتآمرين، وكان من بين المتهمين بيسو وزوجته

---

(١) كيتشانوف: حياة تيمو تشجين ((جنكيزخان)) الذي فكر في السيطرة على العالم، ترجمة: طلحة الطيب، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٢٠٠٥ م، ص٣٢٢؛
Poyle, John Andrew: the Mongol world Empire, London, 1977, p.339.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٨٥.

(٣) اقبال: تاريخ إيران، ص٤١٧؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ص١٢٤.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٠٠- ٢٠١.

(٦) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٠٠- ٢٠٢.

(٧) اقبال، تاريخ إيران، ص٤١٧؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ص١٢٤؛ شبولر، العالم الإسلامي، ص٤٢.

يايشي وبعد محاكمة لهما أُدينا بالتأمر مع عدد كبير من امراء البيت الحاكم[١] وقد أمر منكو خان بقتل(٧٧) اميرا من بيت اوكتاي وجغتاي[٢]، اما ييسو فقد شمله بالعفو محملاً زوجته يايشي مسؤولية دفعه لمعارضته فسلمها لقراهولاكو وامره بان تركل اعضائها وتسحق تحت سنابك الخيل[٣].

اما ييسو فانه طرد من منصبه، ولم يقبل باتو به لا جئا عنده فهام في صحراء القفجاق ولم يعثر له على ذكر بعدها[٤]. في حين كافأ منكو خان قراهولاكو الذي عاضده في الوصول إلى منصب الخان الأعظم بان اعاده على رأس خانية مغول آسيا الوسطى، ولكن قراهولاكو لم ينعم بسعادة المنصب اذ دبرت زوجته اورقنه خاتون من يعترض طريقه سراً وهو متجها إلى بيش بالق ليردى قتيلا[٥] ولعل سبب قتلها زوجها يكمن في طموحها في السلطة أو في عقاب زوجها لتخليه عن اسرة جغتاي لمصلحة ترشيح منكو للخانية.

وأيا كانت الأسباب فان مكنو خان قد نسب بتعيين مباركشاه ليرث ملك والده على عرش الخانية ولصغر سنه كلف والدته أورقنه خاتون بحكم البلاد باسم ابنها[٦]. هذا التكليف يوحي لنا ان منكوخان لم يكن لديه علم بان اورقنه خاتون كانت وراء مقتل صديقه قراهولاكو والا كيف نفسر مكافأتها بتكليفها بإدارة البلاد بدلا من معاقبتها.

وبعد مقتل قراهولاكو لم تعد آسيا الوسطى جغتائية الملك، فقد امر منكو خان باقتطاع إقليم بلاد ما وراء النهر من ملكية الجغتائيين وضمها إلى باتوخان مغول القفجاق مكافأة له على إيصاله لمنصب الخان الأعظم، وشهادة روبروك الذي عبر بلاد ما وراء النهر وهو في طريقه لمقابلة منكو خان كمبعوث من قبل ملك فرنسا لويس التاسع يؤكد

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٠٥- ٢١٢؛ البانكتي، تاريخ البانكتي ص٤٣٥.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢١٠.

(٣) الجويني، تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢١٩؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٣٧.

(٤) المصدر نفسه، م١، ص٢٥١.

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيزخان))، ص١٥٠.

(٦) الجويني، تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠.

ان ما وراء النهر كانت من ضمن أملاك باتو[١]. وان بركة خان بعد اعتلائه عرش خانية مغول القفجاق زار مدينة بخارى والتقى بعلمائها المسلمين واثنى عليهم وكانوا سببا لإسلامه، وهذه الزيارة تدلل أيضاً على ان بلاد ما وراء النهر استمرت تبعيتها لبركة[٢] حتى استعادها الغو بن بايدر حفيد جغتاي.

٥: ألغو ينقلب على اريق بوقا وينتزع لنفسه خانية آسيا الوسطى:

توفي منكو خان في محرم سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) وهو في طريقه لغزو جنوب الصين[٣]. وأحدثت وفاته انقساما بين الأسرة الحاكمة على من يتولى منصب الخان الأعظم بعده القسم الأول كان يساند قوبلاي الأخ الأكبر لمنكو، والثاني يساند اريق بوقا الأخ الأصغر، وكان قوبلاي يقود حملة عسكرية ضد الصين الجنوبية، فساندته القوات المرافقة له في الحملة، اما أريق بوقا فكان قد أنابه منكو على قراقورم اثناء غيابه في الصين فحدثت خلال ذلك وفاته، فأعتبر منحه هذه الإنابة بمثابة ترشيح له لولاية العهد فتمسك بها عند الوفاة وسيطر على الوطن الأم منغوليا بما فيها العاصمة قراقورم يسانده معظم أبناء الأسرة الجنكيزخانية ممن كانوا في منغوليا[٤] فاستغل اريق بوقا هذه المساندة

(١) رانسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م، ج٣، ص٥١١.

(٢) القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص٣٠٩؛ الرمزي: تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص٣٩٩– ٤٠٠؛ ارنولد، سير توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن واخرين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م، ص٢٥٩؛ رجب، انتشار الإسلام، ص١١٢.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٢٣– ٢٢٥؛

Boyle: the Mongol world Empire , p.341.

(٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٨؛ طقوش: تاريخ المغول العظام، ص١٥٥؛ شبولر، العالم الإسلامي، ص٤٩؛

Boyle: op, cit, p. 341–372, Favre: larussta Etla Turaaie, (Pariss) , p. 41.

فدعا الاسرة إلى اجتماع عام (قوريلتاي) وفيه تم انتخابه خاناً أعظم في قواقورم وذلك سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) [١].

وفي المقابل رفض قوبلاي الاعتراف بهذا القرار وعقد قوريلتاي في نفس السنة في مدينة منك – فو (شانغ – تو) الصينية الشمالية الواقعة شمال شرقي السور العظيم بمسافة قريبة وفيه تم انتخابه هو الآخر خان اعظم للمغول[٢].

جرت صراعات سياسية وحروب بسبب هذا الانقسام بهدف ازاحةاحدهما للاخر والانفراد بالمنصب[٣]، وتمكن قوبلاي من فرض حصار اقتصادي على منغوليا تضررت قراقورم كثيرا منه واصابها المجاعة لانها كانت تعتمد في مأكولاتها ومشروباتها على بلاد الصين حيث تجلب اليها الميرة بالعربات[٤] ولهذا كان ضروريا ان يستعين اريق بوقا بالتركستان التي كانت تحكمها اورقنه خاتون زوجة قراهولاكو حفيد جغتاي باسم ابنها الصغير مباركشاه، ومع ان اورقنه كانت من المؤيدين لاريقا بوقا[٥] ولكن كانت من الضعف ما لا تؤهلها قدراتها العسكرية على مواجهة قوبلاي الذي كان قد ارسل قوة من جيشه بقيادة ابيشغة بوري لاحتلال التركستان وتضيق الخناق اكثر على منغوليا[٦]، فكان لابد لاريق بوقا من التحرك فاختار الغو بايدر بن جغتاي ليكون على رأس قوة من أتباعه تحرك بهم من قراقورم للسيطرة على التركستان وليقطع الطريق على ابشغة بوري وعلى اي تحرك ممكن ان يقوم به أخيه الأخر هولاكو الذي كان متعاطفا مع قوبلاي والذي من

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٨؛ الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤٧- ٢٤٨؛ البانكتي: تاريخ البانكتي ، ص ٤٣٨. Favre: laurussia, p. 41

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤٩؛ البانكتي ، تاريخ البانكتي ، ص٤٣٨.

(3) Favre: larussla. P. 41.

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيزخان))، ص٢٥٠؛ البانكتي، تاريخ البانكتي ، ص٤٣٨.

(٥) الجويني، تاريخ فاتح العالم، م١، ص٢٥٠؛ الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥٠- ٢٥٤؛ البانكتي ، تاريخ البانكتي، ص٤٣٨- ٤٣٩.

(٦) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤٩.

الممكن ان يعبر ثغور جيحون لمد المساعدة لقوبلاي وللحصول على المؤن والأسلحة من التركستان والتي كان اريق بأمس الحاجة اليها[١].

وما ان دخل الغوا لتركستان حتى انضم اليه بحدود مائة وخمسون الف من الجغتائيين منقلبين على اورقنة خاتون، فما كان من اورقنه وابنها مباركشاه إلا أن تركا بلادهما هربا إلى قوارقورم شاكين الغو لدى اريق بوقا سلبهما الحكم فأبقاهما اريق بوقا عنده وأكرم ضيافتهما[٢] مبينا لهما ان المخاطر التي تهدده من قبل قوبلاي يستلزم ان يكون في التركستان ألغو كي يستطيع الدفاع عنها، وبالفعل كان اريق محقا اذ استطاع الغو من الحاق الهزيمة بجيش قوبلاي وأسر قائد حملته على التركستان ابيشغة بوري[٣].

واصل الغو بعد ذلك في مد نفوذه على بلاد ما وراء النهر التي كانت آنذاك تقع ضمن أملاك خانية مغول القفجاق فاستثمر انشغال بركة خان في حملته على أوربا[٤] بان وجه بأبن عمه بيكي اوغل في خمسة آلاف جندي لاحتلال بلاد ما وراء النهر ولطرد عمال بركة منها وصحب بيكي سليمان بن الوزير حبش عميد الذي سهل لبيكي مهمة اقناع القوات المغولية التي كانت متواجدة في بلاد ما وراء النهر بضرورة عدم المقاومة والقبول بالانضمام إلى الغو فاستجابا له قائدا تلك القوات الأمير بوقانوشا وجنكساند، اما من قاومه فقد قتل بما فيهم أنصار بركة خان وعمالهم على الأقاليم ومصادرة أموالهم، كما قتل الشيخ جلال الدين باخرزي الذي كان قد قاوم هو وأتباعه جند الغو عند دخولهم مدينة بخارى، ومعروف ان الشيخ جلال الدين باخرزي كان من أنصار بركه خان وان

(١)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤٩، ٢٥٤؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٣٨.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥٤-٢٥٥. البانكتي: تاريخ البانكتي، ص٤٣٩.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤٩.

(4) Saunders: the History of the Mongole, London, Boston, 1972,p. 156.

بركه خان كان قد اسلم على يد والده الشيخ سيف الدين الباخرزي أثناء زيارة بركه لمدينة بخارى بداية اعتلائه عرش الخانية[١].

كما تمكن الغو من يمد نفوذه نحو إقليم غزنه عن طريق القوة التي أرسلها بقيادة الأمير سداي ايلجي الذي افلح في استمالة كل القوة المغولية التي كانت في أفغانستان ويروي رشيد الدين الهمذاني ان الغو بعد سيطرته على بلاد ما وراء النهر استعان بخدمات مسعود بن محمود يلواج الذي لم يتردد في قبول عرض ادارة شؤون البلاد[٢] ولم يكن مسعود يهمه من يحكم بلده بقدر ما يهمه حماية المسلمين من عبث قادة المغول، كما ان الغو لم يكن هو الآخر يهمه من امر البلاد سوى ان تصله بطريقة منتظمة من مسعود اموال الخراج وبفضل هذه الأموال التي احسن مسعود جبايتها تمكن الغو من بناء جيش ذي تسليح جيد[٣] استخدمه في تحقيق حلمه لخانية آسيا الوسطى. وهذا ما حصل فعلا في المواجهة مع اريق بوقا، وكان اريق بوقا قد ارسل مبعوثين عنه إلى التركستان حيث جمعوا الاموال والمؤن والخيل والاسلحة من سكانها بحكم انها غدت من مناطق نفوذه ولكن الذي حدث ان الغو بدلا من ان يسهل لهم امر العودة قبض عليهم ثم قتلهم وصادر ما جمعوه ووزعها على جنده ليعلن بعد ذلك نفسه خانا على أملاك آل جغتاي في التركستان وبلاد ما وراء النهر[٤].

عدّ اريق بوقا قتل الغو لعماله واعلان استقلاله في التركستان وبلاد ما وراء النهر امراً لا يمكن السكوت عنه ولاسيما وان التركستان كانت المنفذ الوحيد الذي يستمد منه اريق بوقا قوته في مواجهة قوبلاي ولهذا كان لابد له من يضع حدا لهذا الانفصال خوفا من ان يستغل ذلك من قبل قوبلاي في استمالة الغوالى جانبه وبالتالي تطويقه من كل الجهات.

---

(١) بارتولد: تركستان ص٧٠٠. رجب: انتشار الإسلام ص٨٧. يكوبوفسكي: تيمورلنك (وصف موجز لسيرة حياته، مجلة دراسات، تصدرها الجامعة الأردنية، العدد ٧، ١٩٨٨م، ص١٠٣.

(٢) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥٧.

(٣) يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص١٠٣.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ص١٥٠- ١٥١، ٢٥٤- ٢٥٥.

ولمواجهة الموقف اتبع خطوات سياسية تهدئ جبهة المواجهة مع قوبلاي من خلال إرسال مبعوث عنه لينقلوا على لسانه القول: ((اننا نحن الاخوة الصغار قد ارتكبنا ذنبا مدفوعين بدافع الجهل وأخطئنا وأنت اخي الأكبر تعرف الجزاء الذي تستحقه))[١] وهذا القول يعني تخليه عن منصبه كخان أعظم والاعتراف بخانية أخيه قوبلاي كما وعد قوبلاي بالتوجه إلى حضرته لإقرار هذا الاعتراف وهذا ما لقي القبول لدى قوبلاي حيث قال ((ان الصبية كانوا قد ضلوا الطريق لكنهم استيقظوا الآن وتنبهوا وبلغوا درجة العقل والفهم واقروا بذنبهم))[٢].٠

وهكذا انطلت الخدعة على قوبلاي الذي أمر جيشه المتوده لغزو منغوليا بالعودة إلى الصين[٣] وبذاك تخلى قوبلاي مؤقتا عن منغوليا، فأتاح ذلك الفرصة لاريق بوقا ليوجه قواته للقضاء على تمرد الغو ضده.

قاد اريق بوقا جيشا قوامه (١٥٠,٠٠٠) الف مقاتل توجه بهم نحو الماليق حيث تمكن عند وادي هيله موران القريبة من الماليق من سحق جيش الغو وذلك سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م)[٤]. غير ان حماقة اريق بوقا جعلته لا يستثمر هذا النصر لاختلافه مع امراء جيشه في كيفية معالجة أمر الأسرى وكانوا بالآلاف وكان الراي بعدم قتلهم ولكن مخالفة اريق بوقا ذلك باعدامهم دفع الكثير من هؤلاء الأمراء عن تخليهم عنه وانحازوا إلى قوبلاي وكان منهم اورنكتاش بن منكو الذي ترك معسكر عمه حاملا معه ختم والده ((التمغا الكبيرة)) ليسلمه لعمه قوبلاي[٥].

ويشير رشيد الدين الهمذاني ان الأزمة لاحقت اريق بوقا عندما ظهر في الماليق (وادي ايلي) قحط اضطر فيها اريق على مصادرة أهاليها قمحهم وإطعامه لخيله غير ان هذا أعاد بالوبال على اريق بوقا لان خيله التي تعودت على القمح مرضت في

(١)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ، ص٢٥١.
(٢)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان) ، ص٢٥١– ٢٥٢.
(٣)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥١– ٢٥٢.
(٤)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥٥.
(٥)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥٥– ٢٥٧؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٣٩.

الربيع عندما أخذت إلى المراعي ونفقت كلها الا القيل، فاضطر إلى العودة إلى قراقورم بعدد قليل من الجند[١] مما أعطى الفرصة لالغو الذي كان قد صمم هذه المرة ليس على استرداد الماليق حيث كان مقر حكمه فيها وانما غزو اريق بوقا في عقر داره قراقورم.

ولتحقيق هذا الهدف أوعز الغو لمسعود يلواج بمضاعفة الجهود في جمع الاموال التي كانت تصله تباعا كما نجح في جمع جنوده المتفرقين ممن نجو من معركة وادي أيلي واستقامت اموره مرة ثانية فقاد جيشه متجها به إلى منغوليا، وعندما علم اريق بوقا ان الغو اقترب من معسكره، ما كان منه إلا أن لجأ إلى تهدئة الغو بان ارسل اليه اورقنه خاتون التي كانت بمثابة الحاكمة الشرعية للجغتائيين والتي سبق ان هربت منه ليعقد من خلالها صفقة سياسية بموجبها يتزوج الغو من اورقنه التي تنازلت له عن عرش خانية الجغتائيين، وكان مسعود يلواج هو من تولى ترتيب هذه الصفقة[٢]. وبذلك يكون الغو قد أصبح الخان الشرعي للتركستان وبلاد ما وراء النهر. اما اريق بوقا الذي لم يعد له القدرة على مواصلة الصراع مع قوبلاي خان حيث استسلم له مع ابن أخيه اسوتاي بن منكو خان ليعفو عنهما قوبلاي خان، وذلك سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م) ثم ما لبث اريق بعد عامين ان توفي[٣]، وبذلك انفرد قوبلاي بمنصب الخان الأعظم للمغول دون منافس، ومنذ ذلك الوقت دخلت منغوليا كليا تحت سلطان الصين، وعلى الرغم من ان الصين بقيت مصدر قوة بالنسبة لقوبلاي وعائلته التي حكمت فيها واصبح اسمها يوان باللغة الصينية فان هذه المنطقة لم تلعب بعد ذلك قط دوراً هاما في التاريخ العالمي شأنها في ذلك شأن العراق بعد سقوط الخلافة العباسية فيه حيث انتقل مركز الثقل له إلى مصر على عهد دولة المماليك.

وبهذا الانتقال إلى بكين اصبح جميع السفراء القادمين من جميع انحاء آسيا أو الممالك المغولية الأخرى يتوجهون إلى بكين وليس إلى قراقورم، كما ان قوبلاي خان

(١) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥٦- ٢٥٧؛ البانكتي: تاريخ البانكتي، ص٤٣٩.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيزخان))، ص٢٥٦- ٢٥٧؛ البانكتي: تاريخ البانكتي، ص٤٣٩.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٨؛ الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥٨- ٢٦٢؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٤٠.

صار ينظر إلى حاجات الشعب المغولي من وجهة نظر صينية ولذلك اصبحت هذه المصالح مرتبطة في اغلب الاحيان بامبراطورية المركز الصين ومنها علاقته مع التركستان وبلاد ما وراء النهر التي وجد ان المصلحة تقتضي ايجاد من يكون موالياً له في حكمها كي لا يثير لدولته المشاكل على حدوده الغربية مع التركستان وهذا ما سنلاحظه عندما سعى لان يكون براق خانا لهذه البلاد لكنه فشل في ذلك.

ثالثاً: خانية قايدو في آسيا الوسطى:

١. قايدو وتكوين خانيته:

أحدث تفرد قوبلاي بمنصب الخان الأعظم وسيطرته على منغوليا تخوفا كبيراً من قبل بركه خان مغول القفجاق لاعتبارات تتعلق بان قوبلاي سيسعى من خلال تحالفه مع أخيه هولاكو حاكم العراق وإيران بان يفرض إرادته على الجميع وكان إقرار قوبلاي بأحقية هولاكو في ملكية بلاد اذربيجان واقليم أران في القوقاز وهما أقليمان كان قد منحهما جنكيزخان قبل وفاته لجوجي والد بركه[١] دليلا على هذا التوجه.

وخوفا من ان يكون بركة ضحية لهذا التوجه ووحيدا في المواجهة سعى إلى تشكيل تحالفات لمواجهة تحالف قوبلاي– هولاكو، فتحرك نحو القوى التي كانت في حالة عداء مع هاتين القوتين أو احداهما، وكان أبرز هؤلاء هما دولة المماليك في مصر وبلاد الشام ومغول آسيا الوسطى، فدولة المماليك استجابت بسرعة لدعوة بركة في مواجهة هولاكو[٢] الذي كانت غارات قواته على بلاد الشام اصبحت شبه سنوية[١] وفي المقابل

(١) طقوش: تاريخ المغول العظام، ص١٩٧.

(٢) عاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٢٦– ٢٢٨؛ الحجي، حياة ناصر، العلاقة بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حولية كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، الرسالة الثامنة في التاريخ، ١٩٨١م، ص١١– ١٢؛ شبولر، بيرتولد: المغول في التاريخ، ترجمه عن الفرنسية: يوسف شلب الشام، منشورات طلاس، ١٩٨٩م، ص٥٣– ٥٥؛ العالم الإسلامي، ص٥٠– ٥٢؛

Lane – pool, Stanley: History of Egypt in the Middle Ages, Hollanda, 1968, p.256. Lavere: La Russia, p.40.

اخذ بركه يبحث عن قوة جديدة تكون موالية له في آسيا الوسطى تحل محل الغو الذي سبق له ان طرد عمال بركه من بلاد ما وراء النهر وحسن علاقته مع قوبلاي خان وهولاكو وأصبح مصدر تهديد له[٢].

كل ذلك دفع بركة إلى الاستجابة لعرض قايدو في ان يدعمه في تأسيس خانية في آسيا الوسطى على حساب أملاك الغو مقابل ان يتعهد قايدو بأن يكون حليفا له ضد خصومه[٣].

وسيرة قايدو تتلخص بأنه ابن قاشين بن اوكتاي بن جنكيزخان[٤]، تولى رعاية طفولته جنكيزخان لوفاة والده المبكر ثم انتقلت الرعاية إلى اوكتاي خان، وفي عهد منكو خان كان قايدو احد الأمراء المقربين للخان ولينحاز إلى جانب اريق بوقا ضد قوبلاي خلال فترة صراعهما على منصب الخانية[٥] ولم تنجح محاولات قوبلاي في كسب قايدو الذي اجتهد في ان يكون له قوة يستطيع بها ان يستعيد حقوقه كوريث لأسرة اوكتاي، ولما كانت اسرة اوكتاي قد أصابها الشلل بسبب المجازر التي كان منكو قد ارتكبها بحق ابنائها ممن كانوا من ضمن قائمة الـ(٧٧) أميرا والذين كانوا قد اتهموا في التآمر على منكو سنة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م) والتي سبقت الإشارة إليها[٦]،لذا لم يكن بمقدوره ان يعول على بقايا شباب أسرته وهم قلة فكان الخيار أمامه مفتوحا في استخدام كل أساليب المكر والخديعة والدهاء في تكوين جيش له ليكون مفتاحا في تحقيق طموحه وهذا ما أشار اليه بوضوح مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني بالقول ((ولم يكن لقايدو اول الأمر جند واتباع كثيرون، اذ انه في الوقت الذي فكرت فيه اسرة اوكتاي قاان في الغدر بمنكو قاان، انتزع اتباعه منهم جندهم، ولكن قايدو كان في غاية العقل والكفاءة والدهاء، فساس الأمور كلها عن طريق المكر والحيلة، ودبر أمره، وجمع ألفين أو ثلاثة آلاف من الجنود من كل

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٣١٥- ٣١٩.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص٢٥٢.

(٣) بارتولد: تركستان، ص٧٠٦.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢١؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، م١، ص٣٦٠.

(٥) الهمذاني:جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢١.

(٦) الجويني:تاريخ فاتح العالم، م٢، ص٢٠٩- ٢٢٣.

ناحية))[١] التجأ بهم إلى بركه خان مغول القفجاق الذي دعمه بالمال والسلاح والجند تمكن بهم من الاستحواذ على جزء من التركستان[٢] التي كانت بحوزة الغو متخذا من الماليق مركزا لحكمه وليؤسس فيها خانية جديدة على أملاك آل جغتاي بمباركة بركه خان.

تصدي الغو لهذه الخانية الناشئة عندما أرسل احد أمرائه للإيقاع بقايدو ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل بمقتل هذا القائد، ومع نجاح الغو في المحاولة الثانية عندما ارسل قوة كبيرة بها احد قادته في الحاق الهزيمة بقايدو، ولكن هذا النجاح لم يؤتِ اكله لوفاة الغو المفاجئ وذلك في الأشهر الأخيرة من سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م) [٣]، لتنفتح امام قايدو بهذه الوفاة باقي اجزاء بلاد التركستان والتي تمكن من ضمها لنفوذه بعد قضائه على الكثير من امراء آل جغتاي ممن كانوا موالين لالغو[٤].

اما بلاد ما وراء النهر فقد تقاسم النفوذ فيها بركه الذي استطاع ان يستعيد ما كان له من أملاك فيها في حين امتلكت خاتون اورقنه خاتون باقي الأجزاء لتعلن فيها استعادة ابنها مباركشاه العرش[٥]، ولكن وقف قوبلاي خان ضد عودة مباركشاه لعرشه وأراد ان يقضي بشكل نهائي على نفوذ آل جغتاي في هذه البلاد ان يجعل من آسيا الوسطى منطقة نفوذ له ليتواصل من خلالها ودون عائق مع أخيه هولاكو في بلاد إيران، ولتحقيق هذا الغرض اصدر برليغ (مرسوما) بان يكون براق الجغتائي، صاحب الحق الشرعي في وراثة عرش جغتاي بدلا من ابن عمه مباركشاه[٦] وكان براق يعيش في بلاط قوبلاي فأراد قوبلاي بهذا القرار جعل براق أداة طيعة لديه ولكن براق الذي كان قد استطاع ان يستميل معظم امراء مباركشاه ثم استسلام مباركشاه نفسه لبراق مع جميع

(١) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢١– ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، م١، ص٣٦٠؛ بارتولد، تركستان، ص٧٠٦.

(٣) بارتولد، تركستان، ص٧٠٦.

(٤) شبولر: المغول في التاريخ، ص٩٧؛ عبد الحليم، انتشار الإسلام، ص٢٣٢.

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٥٢؛ بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص١٨٨.

(٦)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٦٣.

خزائن اورقنه والغو، لم يكن بذلك الرجل الطائع، فقد تنكر لقوبلاي واخذ يعمل على استرداد أملاك آل جغتاي لنفسه متخذا من مدينة اوزكند[١]مركزا لحكمه[٢].

لم يتأخر قوبلاي خان في الرد على خروج براق عن طاعته بان أرسل الأمير قوينجي على رأس قوة من ستة الاف فارس للقضاء على براق وربط التركستان بحكمه المباشر مع مرسوم بان يكون قوينجي نائباً عنه فيها، ومع ان قوينجي حقق مكاسب في التركستان ولكنه لم يواصل التقدم بعد ان وصلته اخبار تفيد بان براق متوجها نحو بثلاثين الف فارس، فأضطر الانسحاب سريعا لعلمه بعدم قدرته على المواجهة فأفسح المجال بذلك لبراق بأن يهاجم مدينة الختن التي كانت من أملاك قوبلاي[٣].

وفي المقابل كان قايدو قد استغل هذه الأحداث لمد نفوذه إلى بلاد الأفغان عندما أرسل ابنه ساربان الذي احكم سيطرته على المناطق الممتدة من بدخشان وحتى مرغاب، وكانت هذه المناطق مثار نزاع بين امراء جغتائيين محليين وبين فرقة عسكرية كانت قد تمردت على سلطة الايلخانيين عندما اعدم اباقاخان قائدها المسمى قولي فاتجهت من إيران إلى بلاد الافغان لتنافس الجغتائيين على غزنه، ولكنها في النهاية خضعت لحكم قايدو[٤].

ومع اننا لا نستطيع ان نقرر بشكل محدد مناطق نفوذ كل امير في آسيا الوسطى، فالمصادر لا تسعفنا في تحديد الحدود وهي على العموم كانت غير ثابتة وآيلة دائما للتغير بسبب الاضطراب والفوضى السياسية التي كانت عليها آسيا الوسطى ومع ذلك توجد ثمة إشارات تذكر بأن المناطق التي كانت تمتد من كاشغر وحتى الختن كانت تقع حسب وصف ماركوبولو ضمن تركيا الكبرى ((هكذا يسمى ماركوبولو ممتلكات قايدو)) وتوصيفه لتركيا الكبرى تعني التركستان وبلاد ما وراء النهر وهو في ذلك يشير

(١) اوزكند، كبرى مدن فرغانه؛ بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص١٩٣.

(٢)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٤٠- ١٤٣؛ ١٥٢، ٢٦٣.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ، ترجمه عن الفارسية: محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار احياء الكتب العربية، م٢،ج٢، ص١٨.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤؛ بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص١٩١.

بان ((تركيا الكبرى تقع وراء نهر ايون (سيحون) وتمتد منبسطة شمالا حتى ممتلكات الخان الأعظم)) اي حتى حدود الصين وكان لقايدو ((مدناً وقلاعاً كثيرة كما انه سيد عظيم جداً... وخاض قايدو معارك كثيرة مع الشعوب التابعة للخان الأعظم))[١].

ومعلوم ان ماركوبولو ولد في البندقية سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) كان مطلعا على الكثير من احداث امبراطوية المغول على عهد قوبلاي خان فقد قام برحلته من البندقية وعبر بلاد ارمينيا واذربيجان وفارس وما وراء النهر والتركستان إلى بكين التي وصلها سنة (٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م) وبقي فيها سبعة عشر عاماً ليشد الرحال منها إلى موطنه البندقية[٢] وخلال هذه المدة كتب لنا تفاصيل دقيقة عن مغول الصين والايلخانيين في إيران وعن مغول القفجاق ولكن للاسف جاءت معلوماته عن التركستان وما وراء النهر شحيحة ومضطربة ومع ذلك فان ما جاء على لسانه يعد مهماً لأنه يشير بوضوح إلى ان قايدو كان من أشد خصوم قوبلاي خان وقد نشبت بينهما كما يذكر ((معارك ضخمة حامية الوطيس)) وسبب هذه الحروب ترجع إلى مطالبة قايدو لقوبلاي بنصيبه فيما حصلا عليه معا بالفتح في بلاد الصين[٣]، وهذه المطالبة تدل على ان قايدو كان قد شارك قوبلاي في الحملة التي كان منكو خان قد قادها لفتح الصين الجنوبية سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)[٤].

ومع ان قوبلاي خان لم ينكر على قايدو هذا الحق وابدى رغبته في إعطائه نصيبه من فتوحات الصين كما فعل مع باقي أبناء أسرة جنكيزخان ولكن شرط عليه الحضور بنفسه إلى بلاطه، كي يعلن الطاعة له كباقي أبناء الأسرة، ولكن قايدو رفض الحضور كونه لم يكن يطمئن لنوايا قوبلاي[٥] وهذا الرفض أكده أيضاً مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني وبيّن ان رفض دخول قايدو في طاعة قوبلاي دفع قوبلاي خان على

(١) رحلات ماركوبولو، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص٣٤٨.

(٢) ولتفاصيل اكثر عن حياة ماركوبولو ورحلاته ينظر: المقدمة من كتاب رحلات ماركوبولو، ص٥– ٩.

(٣) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص٣٤٨.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ ((تاريخ خلفاء جنكيزخان))، ص٢٢٣– ٢٢٤.

(٥) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص٣٤٨.

إرسال ولديه نوموغان وكوكجو ومعها عدد من أبناء أسرة جنكيزخان مع جيش ((لا عد له ولا حصر)) لمحاربة قايدو[١]. وقد تخبط قايدو في الكيفية التي تجعله قادرا على مواجهة هذا الجيش الذي شاءت الأقدار ان تدفع أطماع اثنين من قادته هما شيركي بن منكوخان وتوقتيمو بن سوتوكتاي وهما ابنا اخين لقوبلاي على التآمر على قوبلاي عندما قال توقتيمور لشيركي ((ان الملك حق لك، وان ألقان قد جار كثير علينا وعلى إخوتنا)) فتشاورا واتفقا على اعتقال نوموغان واخيه كوكجو ومقدم الأمراء هنتون نويان ولتحقيق ذلك استغلا فرصة عسكر الجيش بالقرب من احد شواطئ انهار التركستان وذهابهم مع قلة قليلة من الأتباع برفقة، هؤلاء الأمراء للصيد وفي غفلة تمكنوا من الثلاثة باعتقالهم ليرسلوا بعد ذلك هؤلاء الأمراء مع رسول إلى قايدو قائلين له ((ان افضالك علينا كثيرة، ولن ننساها، ولهذا بعثنا اليك بابني قوبلاي قان وأمرائه الذين كانوا ينوون الاعتداء عليك، فينبغي الا يسيء الظن الواحد منا بالآخر ونتفق على مقاومة العدو))[٢].

وقد اثنى قايدو على فعلتهما قائلا: ((اننا ممتنون منكما، وهذا ما كنا نتوقعه)) وطالبهما الحضور إلى معسكره، فاستجابا وإمعاناً في خداع قوبلاي، أرسلا للأخير من يقول له ان ساربان واخوه مينقاتيمور ابنا قايدو قد انشقا على والدهما وانضما إلى معسكرهم[٣]، ولكن هذه الخدعة انكشف زيفها لوصول فرقة أخرى كان قد ارسلها قوبلاي خان بقيادة الأمير بيكلاميش لتعزيز جيش نوموغان، فأطلع بيكلاميش على ما جرى وباشر فورا بقيادة جيش الخان ليعسكر في موضع عند شاطئ نهر ارتيش قباله معسكر قايدو الذي كان يقوده ابنه ساربان. وقد تمكن ساربان الذي أدرك أن المعركة في غير صالحه ان يخدع بيكلاميش بتحركات كانت توحي انه يستعد للمعركة، ولكن واقع الحال كان فيه قد أكمل انسحابه في جنح الظلام إلى داخل صحراء جوركل القاسية، فأصبح

(١) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٦٣- ٢٦٤.

(٢)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤٠، ٢٦٣- ٢٦٤.

(٣)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٦٤.

امر مطاردته فيها الكثير من المخاطر، فتوقف بيكلاميش عن المطاردة[١] ورجع ادراجه وذلك سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م).

ويبدو ان قايدو أراد ان يخفف من وطأة الصدام مع قوبلاي خان، وكمبادرة منه على التصالح اطلق ابني الخان هنتون نويان معرباُ لقوبلاي ان الجميع ممن عارضه سيحضر القوريلتاي الذي كان قوبلاي قد دعا له[٢].

لم يكن قايدو مخلصا في نواياه تجاه قوبلاي مثلما لم يكن قوبلاي مطمئنا لنوايا قايدو، ولذلك لجأ قايدو على تحريض أبناء أسرة باتو بن جوجي على الامتناع عن حضور القوريلتاي زارعاُ فيهم الخوف من ان قوبلاي كان داعماُ لجهود أخيه هولاكو ومن بعده اباقا في الحرب التي كانت قائمة بينهما، لذلك تراجعوا هم أيضاً عن حضور القوريلتاي[٣] وبذلك فوت قايدو الفرصة مرةأخرى على قوبلاي من ان يمنحه التأييد الذي كان يسعى اليه كخان شرعي للمغول وهذا ما اعاد التوتر من جديد بعد ان كان قد ساد السلام بينهما لمدة سنتين ولمواجهة قايدو، حرك قوبلاي جيشا له قوامه ستون ألف فارس ليدعم الحامية العسكرية على قراقورم والتي كان يتولى قيادتها ابنه نوموغان خوفا من ان يهاجمها قايدو[٤]، ولاشك ان قراقورم تحمل دلالة رمزية لدى المغول بوصفها انها كانت العاصمة السابقة لامبراطوية المغول وفيها معظم أُسره جينكزخان وسيطرة قايدو عليها يمكن ان تساعده في القبول بنيل منصب الخان الأعظم بدلاُ من قوبلاي.

ووفقا لرواية ماركوبولو فان الجيشان احتشدا في المنطقة المجاورة لقراقورم وكانا متكافئين في العدد ومتسلحين اجود تسليح، وكان كل جيش مكون من ستة كراديس ضم كل كردوس عشرة آلاف فارس ولكل منها قائد وتضمنت الرواية وصفا دقيقا للمعركة ولنوعية الأسلحة والاستعدادات لها، وعن المعركة التي ارخ لها سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م) يقول ماركوبولو ((... ثم اذ هما يندفعان بعضهما على بعض ويشرعان في كيل الضربات

(١) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص٣٤٩.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤٠، ٢٦٥، ٢٦٧.

(٣)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٦٢، ٢٦٧.

(٤) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص٣٤٩.

الرهيبة وقد اعملا القتل ببعضهما في بعض حتى انه سرعان ما غطت الأرض بأشلاء القتلى وقام قايدو بوجه خاص بالمعجب العظيم من آيات القتال، فلولا بسالته الشخصية التي أعادت الشجاعة لأتباعه، لأوشكت الهزيمة ان تحيق بهم عدة مرات... وموجز القول كانت هذه واحدة من اشد المعارك دموية التي دارت بين التتار... ولم يتمكن اي من الطائفتين من زحزحة الآخر من الميدان))[١].

وعندما سمع قايدو بان قويلاي خان قد جرد عليه جيشا جراراً لدعم ابنه، امر جيشه عند الفجر بالانسحاب والمسير إلى بلاده، وبلغ من إعياء خصومه من المعركة انهم لم يبذلوا اية محاولة لتعقبه ليدخل قايدو بجيشه إلى بلاد ما وراء النهر ويستولي على أملاك براق في ضواحي سمرقند[٢].

٢: قوريلتاي سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م) وتوطد سلطات قايدو على آسيا الوسطى:

إدراكا من قايدو ان قوبلاي خان قد يحرك ضده ابن اخيه اباقا خان من جهة ايران وان يحسن علاقته ببراق وتلافيا لاي تحالف قد يتشكل ضده، بادر قايدو على دعوة براق إلى التصالح والتحالف وتحديد مناطق النفوذ، وبما ان قايدو كان هو صاحب النفوذ القوي في آسيا الوسطى والمنتصر على براق وكان جيشه قاب قوسين أو ادنى من سمرقند التي كان مقيماً فيها براق[٣]، فان دعوته أثارت استغراب براق لانها جاءت من القوي إلى الضعيف وحملت شروطاً معتدلة وما كان امام براق الا القبول بمناقشتها من خلال مؤتمر (قوريلتاي) تم الدعوة له، وقد وجد قايدو ان المصلحة تقتضي ان يكون مغول القفجاق طرفا في هذا القوريلتاي كون جزء من بلاد ما وراء النهر تدار من قبل عمال لهم وعليه فقد دعي منكو تمرخان مغول القفجاق لحضور المؤتمر[٤].

---

(١) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص٣٤٩- ٣٥٠.

(٢) مارموبولو: رحلات ماركوبولو، ص٣٥٠.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص١٩.

(٤) المصدر نفسه، م٢، ج٢، ص١٩- ٢٠، ٢٢؛ Saunders: the History of the Mongol, p.161

عقد القوريلتاي في ربيع سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م) بالقرب من نهر تالاس وقد حضر المؤتمر فضلاً عن قايدو وبراق ومنكوتمر عدد من امراء بيت جغتاي وفيه تقرر تقسيم بلاد ما وراء النهر بينهم ليكون نصيب براق ثلث البلاد والثلثين الباقيين اقتطعا مناصفة بين قايدو ومنكوتمر وتعهد الجميع في الدفاع عن الاراضي المزروعة ضد غارات البدو، وان يعيش امراء البيت المالك في الجبال والسهوب والا يقربوا المدن أو يطلقوا قطعانهم في الحقول، وان لا يأخذوا شيئا من السكان بخلاف الضرائب المقررة، كما اتفقا على ان تترك ادارة المناطق الحضرية بيد مسعود يلواج وأبنائه(١)، وفي المؤتمر طرح براق على قايدو الرغبة في مساعدته في التوسع خارج حدود إقليمه، لأن ممتلكاته لا تكفي لسد احتياجات آل جغتاي وجنده وان المصلحة تقتضي ان يمده بالجند للتوسع، واخذ يخاطب كل واحد منهما الآخر بأنده اي الحليف المؤتمن بقسم، وتبادلوا الخلع وشربوا الانخاب على عادة المغول في هكذا مناسبات وبهذا اقسموا اليمين المؤكد على الإخلاص لبعضهم (٢).

وبهذا الاتفاق غدا قايدو سيدا على آسيا الوسطى وبراق معترفا به من قبل قايدو ومنكوتمر بأنه خاناً على أولوس جغتاي في الجزء المخصص له من بلاد ما وراء النهر.

وطبقا لهذا الاتفاق جرى عرض الكيفية التي يتم فيها توسيع املاك براق، وكان براق يدرك حقيقة الحرب التي كانت قائمة بين منكوتمر خان مغول القفجاق وبين اباقا خان الذي خلف والده هولاكو على ايلخانية إيران سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م)، وان قايدو كانت علاقته متوترة مع اباقا بسبب تأييد اباقا لقوبلاي خان ضده، فأراد استغلال ذلك بان عرض عليهما بان يطلقوا يده ليعبر بجيشه بلاد إيران ويستولي على ممالك اباقا خان وقال لهم (إذا كنتم متفقين على هذا القول فلنتعاهد ونقسم عليه) (٣).

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٢١– ٢٢؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص١٨٩؛ يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص١٠٤.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٤٠، ١٥٢؛ جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٢٢.

(٣)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٢٤، ١٤٠، ١٥٢، جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٢٢.

كان هذا العرض يصب في مصلحة منكوتمر لانه سيخفف الضغط العسكري للايلخانيين على جنوب بلاده، اما قايدو فسيؤمن له هذا العرض الحفاظ على مناطق نفوذه من تحرشات براق، كما ان قايدو اراد بتشجيعه على هذا العمل توريطه في مقابلة غير محسوبة الجوانب املا في اضعافه بهدف الحوز على مناطق نفوذه، وهكذا وعد قايدو براق بامداد حملته على إيران بقوة من جنده ولكنه في واقع الحال أمر قبجاق اغول الذي كان قد عينه قائدا لهذه القوة ان ينسحب حال وقوع القتال بهدف ايقاع الهزيمة ببراق[١].

عبر براق نهر جيحون في شهور سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) بجيشه ومعه فرقة من جند قايدو يقودها قبجاق دعما له[٢] وتمكن بيسر من الاستيلاء على خراسان[٣]، وما ان علم اباقا خان حتى بادر بإرسال مبعوث عنه ليعرض على براق الانسحاب من خراسان مقابل منحه إقليم كرمان وغزنة، ولكن هذا العرض قوبل بالرفض[٤].

تخوف قايدو من المكاسب السريعة التي حققها براق في خراسان وان يتحول ذلك إلى استخدامها ضده لاسيما وان خراسان إقليم غني بموارده، كما ان طموحات براق غدت لا تتوقف عند حدود خراسان بل كان يعتزم السير إلى اذربيجان والعراق والاستيلاء على بغداد[٥] وتشكيل دولة كبرى قد يهدد بها الجميع وهذا ما أخاف كثيرا قايدو المتمرس في فهم السياسة وكيفية الإيقاع بمن يحاول ان ياخذ مكانة اكبر من استحقاقه.

وبهدف مواجهة هذا التطور مهد قايدو لعملية التصالح مع اباقا ونجح في ذلك إلى الحد الذي اخذ كل واحد منهما يخاطب الاخر بأورتاق أي الرفيق، كما طلب من

(١)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٢٥- ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٣، م٢، ج٢، ص٢٥- ٢٦؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٦٠.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكبزخان)، ص١٥٣؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٦١.

(٤) جاكسون، بيتر: سلطنة دلهي (تاريخ سياسي وعسكري)، ترجمة: فاضل جنكر، منشورات مكتبة العبيكان، ٢٠٠٣، ص٢٢٤.

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٣٢.

الأمير قبجاق بسحب عسكره من براق بهدف احداث خلل في جيش براق حال ان يحدث تلاحم بين جيش براق واباقاخان [١].

وفي المواجهة الكبرى بين الجيشين والتي وقعت في غرة ذي الحجة سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) نفذ قبجاق خطة قايدو بسحب فرقته العسكرية المؤلفة من عدة آلاف من جند قايدو ليقع براق في الشرك الذي عد له، فانهار جيشه حال علمه بالمكيدة[٢]، ولم تنفع محاولات براق لدفع الجند على قتال عسكر اباقا، فترك المعركة ناجيا بنفسه مع قلة من جنده إلى بخارى، اما بقية الجند فقد وقعوا ما بين أسير وقتيل[٣].

وكان براق بعد الهزيمة قد أوفد احد أمرائه ويدعى يسار حاملا رسالة إلى قايدو يقول فيها: ((ان الأميرين الكبيرين– قبجاق ومساعده جباط– والجند الذين كنت قد بعثت بهم، لم يظهروا وفاءا ولا ثباتاً، وعاد كل واحد منهم متذرعا بحجة، فكان – انسحابهم– سببا في هزيمة الجيش)) ثم طلب من قايدو معاقبتهم ومساعدته في محنته[٤].

وبدلا من مساعدته اعتقل قايدو الأمير يسار، ثم تحرك بجيشه لكي يقضي على براق نهائيا فحاصر معسكر براق الذي كان قد اعتراه المرض بسبب الحزن والحسرة ثم ما لبث ان توفي في عام الهزيمة نفسه اي سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م). اما من كان في معسكره فقد اعلنوا ولاءهم قائلين: ((ان براق كان حاكمنا حتى هذه اللحظة أما الآن فقايدو هو سيدنا ومليكنا)). فشملهم قايدو بالعفو وضمهم لجيشه[٥].

وهكذا غدا قايدو سيدا بلا منازع على آسيا الوسطى وأصبح اولوس جغتاي خاضعا بالكامل لارادته، فنسب قايدو ابن عم براق ويدعى نيكبي ساربان ليحكم الجغتائيين بأسمه فبقي ثلاث سنوات ثم عزله قايدو ليعطي الحكم لبوقاتيمور بن قداتي بن جغتاي فحكم حتى سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٣م) ثم ما لبث ان توفي لمرض اصابه فقلد قايدو

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٢٥– ٢٨.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٤١– ٤٥.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٤٥؛ البانكتي، تاريخ البانكتي، ص٤٦٢.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٤١.

(٥)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٥٤.

بعده دوا بن براق حكم اولوس جغتاي وقد امتدت فترة حكم دوا طويلا حتى سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) [١] وشهدت خلالها احداثا سنتناولها لاحقا .

٣: توسيع دائرة حكم قايدو ودوا في بلاد الأفغان واحتواء النوكداريين وغزواتهم لشمال الهند:

دأب قايدو بعد هيمنته على الجغتائيين على إتباع سياسة توسعية جنوب نهر جيحون وبالتحديد نحو بلاد الأفغان التي كان ابنه ساربان قد حكمها لزمن قصير اضطر بعدها إلى الانسحاب بسبب الحرب مع قوبلاي خان التي سبقت الإشارة اليها.

وتعد بلاد الافغان منطقة فراغ عسكري لم يهتم بها كثيراً خانات المغول إلا بالقدر الذي كان يتطلب منهم الصراع مطاردة عدو لهم، أو أمير مرتد منهم أو اتخاذها منطقة عبور لغزو بلاد الهند، كما حدث مع الحملة التي قادها الأمير سالي عندما أرسله منكو خان لضم شمال الهند لامبراطويته والتي لم تحقق اهدافها[٢] وكانت تحكم هذه البلاد زعامات محلية متنافسة الأمر الذي جعلها بلاد غير مستقرة وما زاد أمر اضطرابها اكثر بروز النوكداريين على مسرح احداثها ليكونوا واجهة للصراع فيما بعد مع قايدو ودوا ولابد قبل الحديث عن هذا الصراع التعرض للنواكداريين الجغتائيين والكيفية التي وصلوا بها إلى بلاد الافغان.

والنوكداريين نسبة إلى نكودار بن موجي بن جغتاي بن جنكيزخان وكان منكوخان قد ارسله ليقود الجند الجغتائيين بصحبة هولاكو في حملته على بلاد إيران والعراق، وبقي نكودار يعمل مع هولاكو حتى نشب الصراع بين قوبلاي واريق بوقا على منصب الخان الأعظم فانحاز الجغتائيين إلى جانب اريق بوقا فأضطر نكودار الملقب بقولي وأتباعه الجغتائيين الهرب خوفا من اضطهاد هولاكو لهم كونه كان من مؤيدي قوبلاي، وقد تنقلوا في البلاد فاتجهوا أولا إلى كرجستان (جورجيا) وهناك القي القبض على نكودار ليتوفى بعد حين، اما اتباعه فلم يستقر لهم مقام متنقلين بين سجستان وخراسان ومطاردين من قبل الايلخانيين حتى وجدوا ضالتهم في البلاد الممتدة من جبال

(١)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٥٥؛ جاكسون، سلطنة دلهي، ص٣٨٤.
(٢) جاكسون، سلطنة دلهي، ص٢٠٥.

غزنه وبيني كاو إلى ملتان ولاهور على حدود الهند، ناشرين الرعب فيها دون ان يتمكنوا ان يؤسسوا دولة لهم فيها فارضين إرادتهم حيثما حلو على ارض منها(١).

وهكذا عاشت بلاد الافغان والسند من بلاد الهند مرحلة عدم استقرار على عهدهم، مستغلين الفراغ الأمني ليسنوا حروبا خاطفة على أقاليم بلاد ما وراء النهر وأقاليم بلاد إيران، فقد استغل هؤلاء سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م) فرصة توجه اباقا خان نحو الغرب استعدادا لخوض معركة فاصلة مع دولة المماليك على ارض الشام بأن توجه نحو ألفا فارس من النوكداريين من غزنة إلى ولاية فارس الايلخانية وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالقوة التي ارسلها بلغان شحنة فارس، ثم واصوا تقدمهم ليهاجموا ضواحي شيراز فساقوا خيولها ونهبوا ممتلكاتها ليواصلوا بعدها ناشرين الخراب في بلاد فارس فاضطر اباقا امام هذا التهديد ان يوقف زحفه نحو بلاد الشام ليعود إلى تبريز(٢) ومنها تحرك في غرة شهر محرم سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م) نحو بلاد فارس لينسحب النوكداريين قبل المواجهة، ولكن اباقا لم يتركهم فأرسل ابنه ارغون في الثالث من ربيع الأول من سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م) لإخضاعهم فسار حتى سجستان لينسحبوا منها إلى بلادهم دون مواجهة(٣).

بقي النوكداريون يشنون الحروب على جميع الجهات وقد أمعنوا في النهب والسلب وقطع الطرق كما ذاعت سمعتهم السيئة بوصفهم أناساً غير قابلين للخضوع لاي حاكم على الرغم من محاولات الايلخانيين على عهد اباقا عندما أرسل قبيل وفاته بأشهر ابنه ارغون لتأديبهم، فوصل إلى مدينة هراة(٤) ولكنه لم يفلح في النيل من النوكداريين على الرغم من تمكن اباقا من احتواء بعض قادتهم المدعو بوجي الذي كلف بتوحيد الجغتائيين تحت زعامته وأمره بالمساعدة لتحقيق ذلك(٥).

ولكن تلك الجهود لم تؤت أكلها لوفاة اباقا بعد مدة وجيزة من هذا التكليف في سنة(٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م) ودخول بلاده في فوضى بسبب الصراع على منصب الايلخان

(١) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٢٥، ١٣٦.
(٢)الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٧٠- ٧٣.
(٣)الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٧١.
(٤)الهمذاني: جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص٧١.
(٥) جاكسون، سلطنة دلهي، ص٢٢٦.

بين تكودار وابنه أرغون فاخذ موجي يعمل لحسابه، الخاص ولكون خراسان المجاورة لبلاد الأفغان كانت تجري فيها عمليات الحروب بين تكودار وأرغون فان موجي لم يدخل طرفا فيها وانما وجه اهتمامه نحو سلطنة دلهي في السنوات الأخيرة من حكم سلطانها بلبان الذي وصف حكمه بالضعيف(١).

وخلال هذه الأحداث لم يتم بذل اي جهد واضح من جانب قايدو أو حكام بلاد ما وراء النهر بما فيهم الحكام الجغتائيين سواءا أكان على عهد الغو أو من بعده براق لفرض السيطرة على النوكودارريين حتى جاء دوا بن براق الذي نال ثقة قايدو فأوكل اليه مهمة التوسع في بلاد الأفغان والبنجاب الهندية ليكون الحكم فيها للطرفين فاستلزم الأمر كسب أبناء جلدته النوكدارريين من خلال اعترافه لعبد الله بن موجي حاكما على النواكداريين خلفا لوالده موجى(٢) كما قام بتجميع جيوش الجغتاي من كل أنحاء البلاد المتواجدين فيها، وفي ذات الوقت قاد قايدو ثلاثين ألف فارس عبر بهم إلى بلاد الأفغان والبنجاب وذلك في محرم سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) (٣). بهدف الاستطلاع عن قرب عن مواطن القوة والضعف فيها(٤) ليتخذ بعد ذلك قرارا بتعيين إبنه ساربان قائداً عاما للقوات المؤلفة من خمس فرق ((تومانات)) اي خمسين ألفا ثلاث منها من جيشه واثنان عائدات إلى دوا على ان يساعده قطلغ خواجه بن دوا، وقد قدم الأمير نوروز الذي كان قد تمرد على ايلخان إيران ارغون خدماته لقايدو من خلال فرض إرادته على أتباعه من النوكداريين الذين كانوا مرتزقة له بالتعهد بعدم التعرض لقوات قايدو في أفغانستان، فضلاً عن قيامه بمهمة الإسناد وتوفير الحماية له من جبهة إقليم سجستان ضد أي تعرض ايلخاني له وتأمين عبور قواته إلى بلاد الأفغان حيث راح ينشر هذه القوات فيها كما وجه نوروز القائد النوكوداري أباتش التابع له أن يعمل تحت إمرة قطلغ خواجه(٥).

(١) جاكسون: سلطنة دلهي، ص٢٢٧.
(٢) الهمذاني: جامع الواريخ، م٢، ج٢، ص٧١.
(٣) جاكسون: سلطنة دلهي، ص٣٨٥.
(٤) الهمذاني:جامع التواريخ، م٢، ج٢، ص١٣٧.
(٥) جاكسون: سلطنة دلهي، ص٣٨٦- ٣٨٧.

ومع اننا لا نمتلك معلومات كافية عن الطريقة التي ثبت فيها ساربان بن قايدو وقطلغ خواجه سلطتهما على بلاد الافغان سوى ما أشار اليه مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني من ان ساربان اسند حكم ولاية غزنه وقيادة الجيش فيها إلى قطلغ خواجه حيث كان يقضي الصيف في منطقة غور وغرجستان والشتاء في ولاية غزنه ونواحيها، وكان عليه ان يحارب سلطان دلهي دائما بقصد السلب والنهب وإحداث الفوضى والاضطراب في تلك البلاد، وان بوزمه بن براق قد تمرد على ابن أخيه قطلغ خواجه وأراد الاتصال بالخان الأعظم تيمور الذي ورث خانية قوبلاي (٦٩٤- ٧٠٨هـ/ ١٢٩٥- ١٣١١م)، ولكن قايدو أرسل من قبض عليه وقتله(١).

وأن قايدو أمن عن طريق ابنه ساربان وقطلغ خواجه بلاد الأفغان لنفوذه بشكل شبه كامل وان هذين القائدين كانا يشكلان مصدر تهديد مباشر لأملاك الايلخانيين في بلاد إيران والهند بحيث ان فرقتين من قواتهم توغلت إلى داخل العمق الإيراني مجتازتين فارس وكرمان حتى وصلت إلى هرمز سنة (٧٠٠هـ/١٣٠١م) (٢) وحاول ساربان ان يكرر الهجمة ثانية بعد مدة قصيرة ولكن الثلوج أعاقته ليعود إلى هراة، كما عدل وللسبب نفسه قطلغ خواجه من مهاجمة خراسان عن طريق غزنه(٣).

اما غزواتهم للهند، فقد مهد لها حكام دلهي أنفسهم غداة تنصيب كيقباذ سلطانا عليها سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) فعارضه ابن عمه كيخسرو الذي طلب من النوكداريين المساعدة، ويبدو ان النوكداريين وبسبب هذا التدخل كانوا على اطلاع بشكل جيد على الأوضاع السائدة في السلطة فقدموا لقايدو ودوا معلومات عنها استخدمها لشن هجمات قوية على بلاد الهند الشمالية، ففي سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) أوكل قايدو للأمير كدر مهمة اجتياح بلاد البنجاب فاستباح المنطقة حتى شواطئ نهر سوتلج ليواجه هناك قوات كثيفة لسلطنة دلهي يقودها علاء الدين شقيق السلطان وليوقع بالقوات المغولية اكثر من عشرين الف قتيل وسيق الأسرى ليعدموا في دلهي، ولأخذ الثأر لقتلى المغول قاد قطلغ خواجه

(١) جامع التواريخ: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص١٤٣.

(٢) جاكسون: سلطة دلهي، ص٣٨٨.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٥.

وبصحبته أخوه تيمور بوقا في السنة التالية جيشا كثيفا قاصداً دلهي وعلى بعد خمسة عشر ميلا إلى الشمال منها تمكن قطلغ خواجه من سحق الجزء الأكبر من جيش السلطان الذي كان يقوده علاء الدين ومع ذلك لم يدخل قطلغ خواجه دلهي اذ انسحب إلى بلاده لإصابته بجرح قاتل وقد فارق الحياة أثناء العودة الطويلة إلى قاعدته(١)، وكان ذلك إيذاناً بنهاية غير سعيدة لقايدو ودوا.

٤: التحالف الثلاثي تيمور- نايان - بهلوان والإطاحة بقايدو:

لم تتحسن العلاقة بين قوبلاي خان وقايدو طيلة حكمهما الطويل فكلاهما كان يتوجس الخيفة من الآخر وحيثما كانت هناك فرص للتدخل لم يتوانى اي منهما في استغلالها لإضعاف الآخر، فعندما قامت في سنة (٦٨٨هـ/١٢٩٠م) حركة تمرد كبرى في الولايات الخمس الشمالية من الصين قادها نايان ابن طغاجار(٢) طالبا الخانية لنفسه، وقف قايدو إلى جانبه ووعده بمئة ألف مقاتل للإطاحة بقوبلاي، ولكن قوبلاي تمكن ان يجهض هذا التمرد قبل ان ينفذ قايدو بوعده، ومقتل نايان(٣).

ولمواجهة أية تدخلات مستقبلا اتخذ قوبلاي إجراءً عسكريا تمثل بتأسيس قوة عسكرية حدودية ثابتة مع خانية قايدو في التركستان مؤلفة من عدة فرق عسكرية مع قلاع مراقبة لمنع اي توغل مفاجئ لقايدو وحليفه دوا على بلاد الصين(٤).

وفي المقابل فان قايدو ودوا كانا يرسلان دوريات تراقب الحدود لكن لم تحدث مواجهة الا في أواخر عهد قوبلاي عندما باغتت قوة من جيش دوا للفرقة الحدودية التي

(١) جاكسون: سلطنة دلهي، ص٣٨٩، ٣٩٢- ٣٩٣.

(٢) نايان هو حفيد لاوتجكين واوتجكين هو اخ لجنكيزخان؛ الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٦، ٢٩، ٢٠٣، ٢٩٤.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ جنكيزخان)، ص٢٩٤، ولمزيد من التفاصيل عن تمرد نايان ينظر: ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص١٢٩- ١٣١.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٩٤- ٢٩٥، ٣١٩.

كانت مؤلفة من اثني عشر ألف مقاتل تحت إمرة الأمير جوتي ليقتل منها أربعة الآف مقاتل، ثم ينسحب سريعا قبل ان تصل التعزيزات التي أرسلها قوبلاي للإيقاع به[١].

توفي قوبلاي خان سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م) وتم انتخاب حفيده تيمور بن جيم كيم خاناً اعظم سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م) [٢] وخلال السنوات الأربع من حكمه لم يحدث اي توتر على الحدود التي كانت ممسوكة بقوة مما يعطي انطباعاً بأن كلا الجانبين كان مشغولاً بأوضاعهما الداخلية مما لا يستدعي المواجهة، فمن طرف تيمور فأنه كان مشغولا بمعالجة مشكلة ابن عمه أننده ابن منيكقلات حاكم ولاية تنكقوت الصينية والذي أعلن إسلامه مع مائة وخمسين ألف من جنده وأصبح يشكل مصدر خطر على حكمه[٣].

ومع ان تيمور تمكن من اعتقال أننده وأمر بمحاكمته، ولكن تدخل والدته الخاتون كوكجين ((التي عُرف عنها انها حكيمة تسوس الأمور بعقل وحكمة ورأيها كان يحضى بالاحترام لدى قوبلاي في الأمور التي كان يستشيرها فيها)) إشارة على ابنه بضرورة احتواء المشكلة وعدم إثارة إتباع أننده بالقول: ((لقد جلست على العرش منذ عامين ولم يستقر لك الملك بعد ولاننده جنود كثيرون وجميع هؤلاء الجنود وأهل ولاية تنكوت مسلمون ويستنكرون منك هذا الموقف وربما يغيرون قلوبهم فيكونون قريبين من بلاد الأعداء واذن فليس من المصلحة إجباره على ترك الإسلام فلندعه وشانه لمذهبه ونحلته)) فاستجاب تيمور لنصح والدته فأطلق سراح أننده وأعاده لحكم ولايته معززاً مكرماً[٤].

وبخصوص قايدو إشارت كوكجين على ابنها الخان تيمور في معرض التشاور السري الذي حدث بين افراد الأسرة الحاكمة حول ما يجب اتخاذ من تدابير لمواجهة قايدو

---

(١)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٩٥.

(٢)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٩٨.هو خام، هيلدا، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: اشرف محمد كيلاني، منشورات المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٣٢.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣١٦– ٣١٧؛ قداوي، النساء الحاكمات، ص١٥٧.

(٤) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣١٧– ٣١٨.

بالقول ان ((ولاية قايدو ودوا بعيدة، فإذا أنت سرت إليهم، فان ذلك يستلزم مدة سنة أو سنتين حتى يحسم ذلك الأمر مرة واحدة وقد يحدث خلل في اثناء ذلك، بحيث لا يمكن تلافيه مدة طويلة، فيجب الصبر والتريث في الوقت الحالي))[١].

وكان تيمورخان قد ارسل طلائعاً من قواته كمقدمة لقوة اكبر استعدادا لمعركة كبرى مع قايدو ودوا[٢] ولكن بناءً على رأي والدته ارسل إلى هذه القوة أمراً بوقف المسير ومسك الحدود والعمل على تشكيل تحالف مع بعض القوى التي كانت قد تضررت من قايدو ودوا فجرت مخاطبات بين تيمورخان[٣] وابن عمه نايان بن قوينجي بن اورده الذي كان يحكم اولوس القبيلة البيضاء المغولية[٤] في المناطق الوسطى والشمالية المحيطة بنهر ارتيش ومع بهلوان حاكم مدينة بدخشان وكلاهما كانت بلادهما مسرحا لغارات مدمرة بقصد النهب والسلب من قبل عساكر لقايدو ودوا، كما جرت مخاطبة محمود غازان سلطان دولة المغول الأيلخانية في إيران والعراق الذي هو الآخر بلاده كانت جيوش قايدو وابنه ساربان قد اكتسحتها لاسيما أقاليم خراسان وفارس وكرمان مرات عدة وجميعهم كانوا (دائما في مشقة) من قايدو ودوا[٥].

ومع ان الجميع كانوا على اتفاق تام على ضرورة التحرك لمحاصرة قايدو ودوا من جهة الصين يتحرك تيمور ومن الشمال نايان ومن جهة إيران محمود غازان وليشاغل حاكم بدخشان جيش قايدو من الداخل وليسد عليه المداخل الجبلية القاسية المارة عبر بدخشان إلى اطراف الحدود مع الجهة الشمالية الغربية من الصين واولوس القبيلة البيضاء من الطرف الشمالي[٦]، ولكن انشغال محمود غازان في حربه في الجبهة الشامية

(١)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣٢٢.

(٢)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٢٦.

(٣)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣٢٢.

(٤) اولوس القبيلة البيضاء وتعرف أيضاً باولوس أورده، وأورده هو ابن جوجي بن جنكيزخان، الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٩٩، ١٠٠.

(٥)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣٢٢.

(٦)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣٢٢.

مع دولة المماليك حال دون ان ينفذ غازان اتفاقه مع اطراف التحالف[١]، في الوقت الذي كانت جبهة الصراع قد اشتعلت مع قايدو ودوا.

وعلى ما يبدو ان قايدو كان مطلعا على تحركات اطراف التحالف اعلاه ولهذا وفي خطوة استباقية بدات تحركاته العسكرية من خلال حليفه دوا في إضعاف جبهة التحالف هذه بالقيام بغارة على التخوم الشمالية لبلاد تيمور مع التركستان وليوقع بفوج الاستطلاع لتيمور المكون من ستة الآف جندي وليأسر قائد الفوج كوركوز الذي كان صهرا لتيمور خان[٢]، ومع ان تيمور امر فرقة من عسكره مؤلفة من اثنتي عشر الفا جندياً بقيادة يوبوقور بتحرير كوركوز ونجحت هذه القوة في الوصول إلى معسكر دوا والإيقاع بعدد كبير من جنده لكنها فشلت في العثور على كوركوز[٣].

وجرت بعدها محاولات لتبادل كوركوز بصهر لدوا سبق ان وقع في أسر قوبلاي، وتم الاتفاق على ان يطلق صهر دوا ليطلق بعدها كوركوز ونفذ تيمور الاتفاق ولكن لم يفِ دوا بوعده اذ عَمدَّ دوا على قتل كوركوز حال وصول صهره[٤]، فأثار ذلك حفيظة تيمور الذي كانت قواته ومعه جيش نايان قد تحركوا نحو الجهة التي كانت الأقرب إلى قايدو بين قراقورم ونهر تامير حيث فيها وقعت المعركة مع قايدو[٥] ومع اننا نفتقد التفاصيل عنها ولكن المؤكد كما يشير رشيد الدين الهمذاني بانها كانت معركة طاحنة اشترك فيها عشرات الآف من الجند انتهت بجرح قايدو وهزيمة جيشه وذلك في سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠١م) [٦].

اما دوا الذي كانت قواته قد وصلت بعد عدة أيام من بعد وقوع المعركة ليجد قوات تيمور التي كانت قد نالت قسط من الراحة في انتظاره، في حين كانت قواته قد

(١) عن انشغال غازان في حربه مع المماليك ينظر: الصياد، الشرق الإسلامي، في عهد الايلخانيين، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، الدوحة، ١٩٨٩م، ص٢٩٤- ٣٠٠.

(٢) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣١٩.

(٣)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣١٩- ٣٢١.

(٤)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣٢١.

(٥)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٣، ٣٢٢؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص١٩٧.

(٦) الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٣، ٣٢٢.

أرهقتها مسيرة أيام عدة لنجدة قايدو لتقع بينهما معركة حسمت بهزيمة دوا ليهرب وهو جريح مع ثلة من جنده من ساحة المعركة[١].

هاتان المعركتان كتبتا نهاية مأسوية لقايدو وصعودا لدوا الذي أعاد للجغتائيين مكانتهم في قيادة خانية آسيا الوسطى على حساب أبناء قايدو كما سنلاحظ ذلك في المبحث التالي.

٥: انهيار خانية قايدو وتوحيد آسيا الوسطى تحت حكم الجغتائيين:

توفي قايدو بعد أشهر قليلة متأثرا بجراحه وذلك سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م)[٢] ومن سخريات القدر ان التحالف الذي بناه قايدو مع دوا والذي كان قد تقرر فيه ان يكون دوا تابعا له، انقلبت المعادلة بعد وفاته ليكون خليفة قايدو على خانيته جابار هو التابع لدوا بدلا عن العكس.

ورث جابار عرش خانية والده قايدو بمساعدة دوا، وقد وصف رشيد الدين الهمذاني، ان الحالة الجسدية لجابار كانت لا تؤهله لقيادة خانية والده كونه كان مريضا وهزيل الجسد للغاية[٣]، ولهذا عارض تنصيبه معظم إخوته البالغ عددهم أربعة وعشرون أخا، كما عارضته أخته قوتولون جغان[٤] صاحبة النفوذ القوي في بلاط أبيها وسببت هذه المعارضة انقساماً وحروباً بين أبناء الأسرة الحاكمة فأنشق بانكيجار على أخيه جابار ومع عدد كبير من جيش والده بايدو لينضموا إلى نايان واشتركوا معه في الحرب ضد اخيه، كما قاتل اوروس ومعه أخته ومن انضم إليهم من أتباع والده في قتال أخيهما جابار[٥]، ومع ان ساربان كان اقوى الأخوة كافة لكنه لم تشغله أمر الخانية كونه كان منشغلا في الجبهة الأفغانية والخراسانية في مقارعة النوكدريين والايلخانيين وحاكم

(١)الهمذاني: جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣٢٢.

(٢)الرمزي: تلفيق الاخبار، ج١، ص٣٦٠.

(٣)جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٣- ٢٤.

(٤)عن مكانة قوتولون جغان والتي يسميها ماركوبولو ابيجيارم والتي تعني بلغة المغول القمر المنير وعن فروسيتها ينظر التفاصيل: رحلات ماركوبولو، ص٣٥١- ٣٥٢.

(٥)الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٣-٢٤، فامبري: تاري بخارى، ص١٩٧.

بدخشان وتحول إلى أشبه ما يكون بالمرتزق ناشراً الخراب والدمار في هذه الأقاليم دون ان يستقر له حال[١].

بقي مسلسل الحروب بين الأخوة مستمرا وكانت قد أضعفت جابار إلى الحد الذي ارتضى في الاستجابة لمقترح دوا في ان يبادر الاثنان في الاعتراف بتيمور كخان أعظم للمغول وتدشين عصر سلام عام عبر العالم المغولي، ولقي هذا الاقتراح القبول الطيب من تيمور خان الذي بادر بإرسال وفد من قبله إلى خدابندا الذي كان قد ورث عرش ايلخانية إيران بعد وفاة غازان سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) وكان خدابندا راعيا لتحقيق هذا السلام فاستقبل في سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) سفارة تيمور جنبا إلى جنب مع مبعوثي جابار ودوا وممثلين عن قطلغ قوتشا وأمراء محليين آخرين فتم الإعلان عن الأنباء السارة عن المصالحة العامة، وهكذا جرت التسوية ليكون الجميع يحكمون بأسم الخان الاعظم تيمور[٢].

هذه التسوية لم يستفد منها جابار ولم تدعم موقفه في مواجهة إخوته وحتى دوا الذي كان حليفا له وداعما لعرشه انقلب عليه مستغلا حالة الضعف التي وصل اليها جابار بأن وجه قواته للانقضاض على عرشه واعترافا من جابار بالهزيمة ارتضى بإعلان تبعيته لدوا مقابل الإبقاء له على منطقة نفوذ اصغر بكثير مما كانت له وتوزيع باقي إقطاعياته على أمراء محليين يحكمونها لمصلحة دوا[٣].

وانتهت آخر محاولة لجابار في إعادة ملك ابيه عندما تمرد على دوا سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م) لتنهي حالته بهزيمة كان على اثرها ان ضم دوا ما تبقى له من ملك لينتهي بذلك ملك أبناء قايدو في آسيا الوسطى بما فيهم ساربان الذي كان قد قضى نحبه في غارة في بلاد خراسان وذلك سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) [٤].

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤؛ جاكسون: سلطنة دلهي، ص٣٩٧.

(٢) جاكسون: سلطنة دلهي، ص٣١٩؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص١٩٧.

(٣) جاكسون، سلطنة دلهي، ص٣٩٦– ٣٩٧.

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٢٤؛ جاكسون، سلطنة دلهي، ص٣٩٧ والهامش (٥٠) من نفس الصفحة.

وبوفاة ساربان تكون آسيا الوسطى قد توحدت تحت حكم الجغتائيين بشخص واحد هو دوا.

رابعاً: آسيا الوسطى في عهد خلفاء دوا وانهيار حكم الجغتائيين:

لم يطل مقام دوا في حكم خانية آسيا الوسطى طويلا اذ توفي بعد عدة اشهر من توحيدها تحت سلطته وذلك في سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) فخلفه سدة الخانية ابنه قونجق الذي لم يعمر حكمه طويلا لينتقل الحكم إلى ابن عم له يدعى تاليقوه بن قادامي وكان هذا الخان قد اعتنق الإسلام وغالى في تحمسه لدينه الجديد وحاول ان يفرض عقيدته على الأمراء والجند مما اغضب بعض قادته ممن كانوا متمسكين بعقيدتهم القديمة فثاروا عليه وقتلوه واجلسوا مكانه على العرش كيبك بن دوا، ولكن كيبك لقي معارضة شديدة من قبل أخيه اسن بغا ويسور(١).

ولحسن حظ كيبك ان وقع خلاف بين اسن بغا ويسور حول بعض الأملاك تطور إلى حرب قاسية بينهما اضطر فيها يسور على الهرب واللجوء عند اولجايتو سلطان دولة المغول الايلخانية فأمده اولجايتو بفرقتين من جنده ليقاتل بها اسن بغا الذي كانت خراسان قد تضررت كثيراً من غاراته عليها(٢).

عبر يسور بجيشه نهر جيحون سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) ليقابل عسكر اسن بغا وفي المواجهة بينهما لقي اسن بغا مصرعه ليستقر مقام يسور بعدها في جنوب نهر جيحون يحكمها باسم اولجايتو، ولكن طموحه قاده إلى هراة التي كان كيبك قد اتخذها عاصمة لخانيته، وعند أطراف هراة وقعت المعركة لتنتهي بمصرع يسور وذلك سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) (٣).

انصرف كيبك بعد التخلص من اخويه في القيام ببعض الإصلاحات الإدارية والمالية والعمرانية. ففي عهده كان التناقض قد بلغ أوجه بين الجغتائيين الذين بقوا في منطقة يدي صو ((منغوليا)) متمسكين ببداوتهم وبين الجغتائيين الذين كانوا قد تركوا

(١) فامبري: تاريخ بخارى، ص١٩٧؛ عبد الحليم، انتشار الإسلام، ص٢٣٤.

(٢) فامبري: تاريخ بخارى، ص١٩٩.

(٣) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج١، ص٥٠٨؛ جاكسون، سلطنة دلهي، ص٤٠٠.

موطنهم منغوليا واستوطنوا المناطق الحضرية في بلاد ما وراء النهر. وقد استهجن كل طرف بالآخر بألقاب تنم عن ازدراء فجغتائي يدي صو أطلقوا على الجغتائيين المتحضرين لقب قراونس اي الهجين غير الاصلاء وبدورهم أطلق القوارنس على مغول يدي صو لقب جته اي البدو الجفاة اللصوص[١]. وهكذا انقسم الوس جغتاي إلى قسمين هما جغتائي بلاد ما وراء النهر وجغتائي يدي صو، والقسم الثاني كان يعيش خارج اي سلطة ضمن نظام بدوي تتصارع قبائله الرحل على الكلأ مثلما كان عليه الحال قبل تكوين دولة المغول على عهد جنكيزخان.

وقد مثل كيبك القسم الأول حيث دعم المظاهر الحضرية بتوطين اتباعه، كما ابتنى لنفسه قصراً على بعد فرسخين من مدينة نسف ((نخشب)) سماها (قرشي) لتنمو حوله بمرور الوقت مدينة كاملة اخذت اسمها من اسم القصر، وبسبب ازدياد أهمية هذه المدينة التي أصبحت مقرا لحكمه اخذ سكان نسف يتركوها لمصلحة قرشي لتتحول نسف إلى بلدة صغيرة[٢] بعد ان كانت عامرة بالسكان وقد مر بها الرحالة العربي ابن بطوطة خلال رحلته في بلاد ما وراء النهر فوصفها بأنها بلدة صغيرة تحف بها البساتين والمياه[٣].

اما إصلاحات كيبك الإدارية والمالية، فتنسب اليه انه ألغى نظام الالتزام الضريبي الذي كان قد أرهق سكان الريف والمدن على السواء والذي بدوره انهى الحكم المحلي للملتزمين على الريف والمدن واوجد بدلا عنه نظام التومانات الذي يقوم على أساس تقسيم بلاد ما وراء النهر والتركستان إلى وحدات إدارية كل وحدة يخرج منها تومان من الجند تتكفل الوحدة الإدارية بنفقاته، والتومان يساوي العشرة آلاف رجل، ولم يحدث ان استطاعت اي وحدة إدارية أو كما سميت بتومان ان تخرج عشرة الآف جندي بالكامل.

---

(١) يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص١٠٥؛ Doghlat: op. cit, p.52, 148. ؛
Hookham, H. Tamburlaine the conqueror,London,hooder and stoughto,1967, p.39.

(٢) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢٠٦- ٢٠٧؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥١٣- ٥١٤.

(٣) رحلة ابن بطوطة، ص٣٥٤.

ونظام التومان الإداري هذا اخذ به فيما بعد تيمورلنك، ولكن بالنسبة لكيبك فان هذا النظام لم يسهم في تطوير البلاد الا مؤقتا لان على عهد خلفائه تحول هذا النظام إلى أنظمة اقطاعية لها من القوة ما جعلها مصدر تهديد لتفكيك وحدة البلاد وهذا ما حدث فعلا فيما بعد(١).

اما إصلاحاته في الجانب النقدي فقد استثمر النجاح الذي كان غازان قد حققه في إيران والعراق في توحيد اوزان العملة الذهبية والفضية ليكون الدينار يساوي ثلاثة مثاقيل ذهب والدينار الذهبي يساوي ستة دراهم، والدرهم يزن نصف مثقال ذهب وعلى نفس القياس يكون الدينار الفضي يساوي ثلاثة مثاقيل فضة والدرهم نصف مثقال فضة(٢).

هذا النظام اخذ به كيبك ولكن مع بعض الاختلاف في الوزن ليصبح الدينار يعادل مثقالين والدرهم ثلث مثقال، وقد لقي تطبيق هذا النظام صدا طيبا بين سكان بلاده(٣).

توفي كيبك سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) فخلفه على الخانية أخيه ترماشيرين(٤) وتحدث الرحالة ابن بطوطة عن ترماشيرين، وكان قد قضى عامين بضيافته، فوصف بلاطه وطاقم إدارته المؤلف من نائب للخان ووزير وحاجب وصاحب الطمغة (الطمغجي)، والأمراء قادة العسكر وطريقة جلوس الحضور كل حسب مقامه، ثم بين لنا فضائله وهي كثيرة ولكن ما استرعى انتباهنا شده تمسكه بعقيدته الإسلامية وتواضعه ولنا

(١) ابن عرب شاه، شهاب الدين احمد بن محمد الدمشقي الانصاري: عجائب المقدور في اخبار تيمور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٤٢- ٤٣. يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص١٠٧.

(٢) عن اصلاحات غازان في الجانب النقدي ينظر التفاصيل: ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، ١٩٣٢م، ص٤٩٨؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص٣١٩؛ يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص١٠٥- ١٠٦؛ طقوش: تاريخ المغول العظام، ص٢١٩.

(٣) بارتولد: تاريخ الترك، ص٢٠٧؛ يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص١٠٥- ١٠٦.

(٤) جاكسون، سلطنة دلهي، ص٤٠١.

في ذلك مثال عن ترماشيرين الذي كان يحضر الصلوات الخمس في الجامع يوميا وحدث ان كان شيخ الجامع يعظ الناس في كل جمعة والسلطان كان من بين الحضور فوجه في إحدى الجمع الشيخ كلامه لترماشيرين يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظلم ويغلظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويتلقى حديثه بدمع الندم والتوبة(١).

كانت سلطة ترماشيرين بموجب نظام التومان غير مركزية على بلاده وهذا ما أعطى فسحة لتحرك بعض الأمراء المحليين في شن هجمات على أملاك الايلخانيين في إقليم خراسان فأثار ذلك حفيظة أمير الأمراء جوبان الذي غدا المتحكم في شؤون الدولة الايلخانية على عهد أبو سعيد إلى الحد الذي نال اعتراف بمرسوم من الخان الأعظم في الصين بمنصبه كأمير للأمراء مع خصه بكل انواع التكريم دافعا اياه على ان يفرض سلطته على بلاد ما وراء النهر(٢).

ويبدو ان خانية الصين المغولية والتي كانت احوال الخان فيها قد تدهورت كثيرا بسبب الصراعات الأسرية على منصب الخان الأعظم وثورات الصينيين ضدهم(٣) قد أعطت الفرصة لترماشيرين في التدخل في شؤون الحكم فيها وربما كانت له اطماع في الاستحواذ عليها لاسيما وكما يذكر ابن بطوطة ان لترماشيرين عساكر ضخمة وجيوش كثيرة(٤) تؤهله للقيام بهكذا فعل، غير ان انفجار الصراع مع الايلخانيين عطل اي تحرك على الجبهة الصينية. فقد وجه الايلخانيون قواتهم بقيادة امير الأمراء جوبان نحو خراسان لوضع حد لانتهاكات الجغتائيين لهذا الإقليم، وبعد ان طهر الإقليم من بقاياهم واصلت قوات جوبان تقدمها نحو هراة، وكان ترماشيرين قد دخل في تحالف مع مغول القفجاق يقوم على أساس ان يعاضد كل طرف الطرف الآخر بقوة في حال تعرضه لتهديد من قبل

(١) رحلة ابن بطوطة، ص٣٥٧.

(٢) الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٥١.

(٣) اليسيف، دانييل: تاريخ الصين، ترجمة يوسف شلب شام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧م، ص١٢٠-١٢١.، ص١٢٠- ١٢١.

(٤) رحلة ابن بطوطة، ص٣٥٥.

الايلخانيين، وفعلا وصلت ترماشيرين كتيبة من جند مغول القفجاق لدعم موقفه ضد حملة جوبان على بلاده(١).

ويبدو ان ترماشيرين لم يحسن تقدير الموقف تجاه ما يجب اتخاذه من تدابير في مواجهة جوبان فبدلا من تركيز قوته في مكان واحد اتبع خطة توزيع قواته بين هراة وغزنه، فاعطى بذلك الفرصة لجوبان في سهولة الاستيلاء على هراة وتكلف ابنه حسن في مواجهة ترماشيرين الذي فشل في ان يقطع الطريق امام تقدم الجوبانيين نحوه وفي غزنه وقعت المعركة لتلحق بترماشيرين الهزيمة متكبدا خسائر فادحة في الجند والاسلحة ولترتكب قوات حسن الشناعات بسكان غزنه وتحيل عمرانها إلى دمار وخراب وذلك سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) (٢). اما ترماشيرين فقد انسحب بما تبقى من قواته إلى ترمذ ولم تنقذه من مطاردات جوبان وابنه له الا ما حدث من تطور تمثل باستغلال أبو سعيد فرصة غياب جوبان بأن انقلب عليه باستئصال شأف عائلته الواحد تلو الآخر وبمساعدة عدد من الأمراء ممن كانوا قد تضررت مصالحهم لانفراده وأبنائه بالحكم، فأضطر جوبان وابنه حسن الانسحاب سريعا إلى إيران لمواجهة الموقف، فأتاح بذلك الفرصة لترماشيرين في إعادة سيطرته على البلاد(٣).

بقيت العلاقة بين ترماشيرين والايلخانيين متوترة حتى بعد إقصاء أبو سعيد الجوبانيين عن الحكم واخذ أبو سعيد والسلطان محمد سلطان دلهي يتبادلون الوفود من اجل اقامة تحالف بينهما ضد الجغتائيين وثمة رسالة مؤرخة سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧-١٣٢٨م) ارسلها سلطان دلهي محمد إلى أبو سعيد ضمن وفد حملها تضمنت سعيه إلى تحقيق تعاون عسكري ضد ترماشيرين لم تسفر تبادل الوفود وما جرى من مفاوضات عن

(١) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢٠٩؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص٤٥٢.

(٢) المستوفي القزويني: تاريخ كزيدة، بأهتمام عبد الحسين نوائي، مؤسسة انتشارات، أمير كبير، تهران، ١٣٣٩هـ.ش، ص٦١٧؛ خواندمير غياث بن همام الدين الحسيني: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، كتبخانه خام، تهران، ١٣٣٣ش، م٣ ج١، ص٢١٠؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص٢٠٠.

(٣) المستوفي القزويني: تاريخ كزيدة، ص٦١٧- ٦١٨؛ ابرو، حافظ شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الخوافي: ذيل جامع التواريخ، رشيدي، شركة تضامني علمي، تهران، ١٣١٧هـ، ص١٧٢- ١٧٣.

واقع عملي على الأرض رغم ان كلا الطرفين كان متفقاً على ضرورة تحجيم قدرات ترماشيرين العسكرية[١].

وكان ترماشيرين يدرك مخاطر اي تقارب بين الايلخانيين وسلطنة دلهي عليه وفي خطوة استباقية لضرب التحالف قاد ترماشيرين حملة عسكرية تمكن بها من الوصول إلى ضواحي دلهي وذلك سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٨- ١٣٢٩م) وكادت دلهي تقع بيده لولا وقوع حركة التمرد التي قام بها اخوه دوره تيمور، فاضطر ترماشيرين ان يوقع وثيقة صلح مع سلطان دلهي، ليعود سريعا إلى بلاده[٢]، وحسب رواية ابن بطوطة فإن العلاقات بين الطرفين غدت ودية وكانا يتبادلان الرسائل والهدايا ويخاطب احدهما الآخر بالأخ[٣] تعبيرا عن انتمائهما إلى الإسلام الذي يدعو إلى الأخوة ونبذ الخصام.

وعلى الرغم من ان ترماشيرين استطاع ان يقضي على تمرد اخيه دوره تيمور سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)[٤] غير ان الخطر الأكبر جاءه هذه المرة من جغتائي يدي صو (الجته) الذين أخذوا على ترماشيرين تركه شريعة جنكيزخان بإسلامه وبإبطاله بيوم الطوى وهو اليوم الذي كان يجتمع فيه أبناء الأسرة الحاكمة أمراء وأميرات قادمين من كل انحاء البلاد في مكان يخصص مسبقا ليقرروا فيه ان كان الخان ملتزما بشريعة جنكيزخان في حكمه ام لا، وفي حال تعمده مخالفتها وجب خلعه، كما انكروا عليه أيضاً اقامته اربع سنين في بلاد ما وراء النهر، دون ان يتفقد عاصمة الخانية القديمة المالية التي كان فيها أسر جنكيزخانية والتي كانت قد جرت العادة ان يزورها الخان على الأقل في السنة مرة واحدة[٥] وهذا ما لم يفعله ترماشيرين الذي كان ميله الحضري وتمسكه بعقيدته الإسلامية قد جعله في حالة خصام مع القيم البدوية التي كان عليها بدو يدي صو مما زاد من حدة

(١) جاكسون، سلطنة دلهي، ص٤١١.

(٢) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢٠٩؛ جاكسون، سلطنة دلهي، ص٤١١؛ Saunders: the History of Mongol, p. 172.

(٣) رحلة ابن بطوطة، ص٣٥٩.

(٤) جاكسون، سلطنة دلهي، ص٤١١.

(٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٥٨- ٣٥٩.

الصراع بينه وبينهم إلى الحد الذي استغله بعض امرائه ممن كانت القيم البدوية هي المتغلبة على طباعهم على الرغم من اظهار إسلامهم بأن ثاروا عليه وقتلوه غيلة وهو في قلة من أصحابه وأقاموا على عرشه ابنا لأخيه كيبك اسمه جنكشي وذلك سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)[١] ومع ان جنكشي لم يحكم سوى عاما واحدا غير انه ادار ظهره لبلاد ما وراء النهر حيث كان يعيش فيها ليتخذ من الماليق عاصمة لملكه وفيها انتصرت القيم البدوية على الحضرية وابعد عن بلاطه المسلمين متخذا من رجالات البوذية اركانا لحكمه فكان هؤلاء يناصبون المسلمين العداء، ولذلك عاش المسلمون على عهده اوضاعاً قاسية في حين تعاطف مع المسيحيين الغربيين وسمح لهم ببناء كنيسة بطلب من طائفة الكاثوليك ممن كانوا قد وفدوا اليها كمبشرين أو افراد[٢] ويبدو ان المصالح السياسية والاقتصادية بينه وبين البابوية وملوك اوربا كان وراء هذا القبول وما يعزز هذا الرأي ان البابا بندكت الثاني عشر كان قد ارسل مطرانا من الفرنسسكان مبعوثا عنه إلى جنكشي، الذي التقى المبعوث واثمرت الزيارة السماح للمبشرين التبشير بدينهم في خانية الجغتائيين[٣].

لم ترق للجغتائيين الحضر القراونس امر انتقال خانيتهم للماليق، وكان رد فعلهم بأن تمكن احد امرائهم المدعو بورن وهو ابن عم لترماشيرين من الاستحواذ على منصب الخانية ومع ان مصدر معلوماتنا الوحيد عن بوزن هو الرحالة ابن بطوطة الذي كان مطلعاً على تطورات بلاد ما وراء النهر عن قرب بحكم زيارته لها خلال هذه الأحداث لا يفصل لنا الحديث عن بوزن واسم أبيه سوى القول ان بوزن ترك الماليق إلى سمرقند وبخارى فبايعه الناس وهرب ابن الخان المقتول ترماشيرين المدعو بشاي أغل واخته وزوجها فيروز إلى سلطان دلهي الذي احسن معاملتهم وانزلهم منزلة عالية إكراماً

(١) المصدر نفسه، ص٣٥٩؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢٠٩؛ عبد الحليم، انتشار الإسلام، ص٢٣٨.

(٢) بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢٠٩؛ عبد الحليم: انتشار الإسلام، ص٢٣٨- ٢٣٩؛ Saunders: the history of Mongol. P. 172.

(3) Saunders: op. cit, p. 172.

لترماشيرين، اما عن وصفه لبوزن فيقول ابن بطوطة (كان مسلماً إلا أنه فاسد الدين سيء السيرة) [١].

وفي سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) في عهد بوزن قتل في الماليق مطران كنيستها وستة من النصارى بينهم تاجر ايطالي على يد احد العامة[٢] ولايوجد ما يشير إلى دوافع القتل وربما كان وراءها عامل التخوف من ازدياد حركة التبشير بواسطة هؤلاء على حساب انتشار الإسلام بين المغول في التركستان. وما يدعم هذا الراي ان وضع النصارى كان على افضل ما يكون على عهده[٣] وان المسلمين ضاقوا ذرعاً منه واخذوا يتربصوا به الدوائر حتى وجدوا ضالتهم في الأمير خليل بن يسو الذي كان مقيما في خراسان فاتصلوا به، وكان من جملة من قدم الدعم له بعدد وافر من الجند غياث الدين الغوري حاكم غزنه وحسين كرت حاكم هراة وعلاء الدين خداوند زاده حاكم ترمذ الذي زوده بأربعة الآف مقاتل، كما انظم اليه عدد كبير من امراء المسلمين الذين (تلقوه بالسمع والطاعة والرغبة في جهاد العدو)[٤] فأصبح له بهؤلاء عسكر عظيم قدره ابن بطوطة بثمانين ألف مقاتل[٥] ومع ان هذا الرقم مبالغ فيه كثيرا، ولكن ما يجعلنا نقبل بضخامة جيشه هو انضمام جيش بوزن اليه عندما انقلب هذا الجيش على سيده واتو ببوزن مكبلاً ليسلموه لخليل اسيراً فأمر بقتله على عادة المغول التي لا تجوز قتل من ينحدر من اسرة ملكية بسفك الدم، فقتل خنقا بأوتار القسي وذلك سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) [٦].

لقب خليل نفسه سلطاناً بدلاً من خان كون اللقب الأول يحمل دلالة إسلامية وشهد عهده إعادة توحيد التركستان مع بلاد ما وراء النهر عندما قاد بمساعدة علاء الدين جيشا تمكن به من الاستيلاء على الماليق ليقر سلطانه فيها ومنها إلى قراقورم وبيش بالق

(١) رحلة ابن بطوطة، ص٣٥٨– ٣٦٠.

(2) Saunders: op. cit, p. 172.

(٣) أبن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٦١؛ Saunders: op. cit, p. 172

(٤)أبن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٦١.

(٥)أبن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٦١.

(٦)أبن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص٣٦١.

حواضر العوائل الجنكيزخانية ليستولي عليهما، وليبقي على كل مدينة حامية عسكرية وحاكم يتبعه، كما عقد اتفاقية صلح مع إمبراطور الصين، واستقر مقامه بين سمرقند وبخارى[١].

ويبدو ان الغرور سيطر عليه ليتناسى فضل من اوصله إلى رأس السلطة فأراد التخلص منهم كي لا يشكلوا خطرا على ملكه فدبر من اتهم علاء الدين خداونده الذي كان قد اتخذه وزيراً له بالتآمر عليه فأمر بقتله[٢].

كما أساء خليل العلاقة مع ولي نعمته حاكم هراة عندما طالبه بان تكون الخطبة وسك النقود باسمه، فأغاض ذلك حسين كرت فأجابه بأقبح جواب، وجاء إليه بعسكره ليهزمه ويحمله أسيرا إلى هراة، وكان لا يزال بالأسر حين غادر ابن بطوطة هراة إلى سلطنة دلهي سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) [٣].

خامساً: انقسام بلاد ما وراء النهر إلى ملكيات لا تدين بالتبعية لأحد:

استغل حسين كرت اسر السلطان خليل بان شن حرب شاملة لطرد جميع الجغتائيين من بلاد ما وراء النهر فغزى أملاكهم في اندخوي وشبورغان التابعتين لبخارى حيث كانوا متمركزين بها فهزم قبائلهم فاستنجدوا بقازان بن اليسور الذي كان له نفوذ في وادي نهر كشكه، فلم يتوانى عن تقديم الدعم ليكسب اول وقعة مع حسين كرت وذلك سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م) لكنه لم يستطع مواصلة الحرب مع حسين لتعرض مناطق نفوذه لغارات وحملات نهب من قبل زعيم مرتزق من البدو اسمه قزغن (قزغان) الذي تمكن من الإيقاع بقازان وقتله وذلك سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) [٤].

وكان مقتل قازان نهاية لسلطة الجغتائيين وخانيتهم اذ لم يعلن قزن نفسه خاناً بل اكتفى بلقب أمير متخذا لنفسه القيشلان (سالي سراي) الواقعة على نهر جيحون شمال ترمذ معسكرا شتوياً له، وكانت هذه المنطقة منذ القدم مشاتي للبدو، اما معسكره الصيفي

(١)أبن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ، ص٣٦١- ٣٦٢.

(٢)أبن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ، ص٣٦٢.

(٣)أبن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٦٢.

(٤) بارتولد، تاريخ الترك، ص٢١٠؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص٢٠٣.

فكان في المكان الجبلي الواقع بين مدينتي مونك وبالجوان والنواحي المحيطة بها. ومن هاتين المنطقتين كانت تنطلق غاراته على ضواحي هراة دون ان يتمكن من اقتحامها لمناعة أسوارها ناشراً الخراب المدمر لاية بلدة تطالها خيوله، وعلى الرغم من مقتله على يد احد أتباعه في رحلة صيد سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) [١] فان ابنه عبد الله لم يبلغ نفوذ والده ولم يتمكن حتى من حماية نفسه وإتباعه أمام انقسام البلاد لتصبح كل ملكية أو اقطاعية أو مدينة طامعة بأملاك غيرها، وكان ابرز هذه الملكيات هي ملكية حاجي برلاس في مدينة شهرسبز (كش) والمنطقة المحيطة بها في حوض كشكداريا ومدينة خجند وتوابعها للأمير بايزيد زعيم قبيلة خجند وتوابعها للأمير بايزيد زعيم قبيلة الجلائريين، وبلخ وجزء من توابعها كانت لحسين حفيد قزغن اما الجزء الآخر فكان يمتلكه اولجايغاسلدوس ومنطقة شوبرقان كان عليها محمد خواجه أبردي ومدينة ختلان كان يملكها الأمير كيخسرو. وكل واحد من هؤلاء يعد نفسه مساويا لغيره من الأمراء وكان السكان المحليون هم الأكثر إصابه بالضرر من هذه الانقسامات[٢].

الخامس عشر: خانية كاشغر وظهور تيمورلنك

لاشك ان الأوضاع التي كانت عليها بلاد ما وراء النهر قد لقيت صدا في الدول والكيانات السياسية المجاورة، وتمثلت تلك الدول بأيلخانية إيران والعراق من جهة الغرب وسلطنة دلهي في الهند من الجنوب وإمبراطورية الصين المغولية من الشرق والشمال الشرقي ومن طرف الشمال الغربي كانت هناك دولة مغول القفجاق، مع كيان مغولي يغلب عليه طابع البداوه كان تارة يتبع مغول الصين واحيانا يخضع لمغول القفجاق يطلق عليه أولوس القبيلة البيضاء أو أولوس اورده نسبة لاورده بن جوجي بن جنكيزخان وكان لاولوس القبيلة البيضاء كما أشرنا من قبل دور في الحرب الأخيرة مع قايدو سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠٣م)

ومن المفيد ان نستعرض باختصار شديد الواقع السياسي لجميع هذه الدول لنبين كيف ان بلاد ما وراء النهر قد افلتت من استغلال اية دولة من هذه الدول لحالة

(١) يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص١٠٩.

(٢)يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص١٠٩.

الاضطراب والانقسام فيها من الانقضاض عليها وضم أراضيها لواحد أو أكثر من هذه الدول.

فالدولة الأيلخانية في إيران والعراق قد انهارت سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) وكان هذا الانهيار قد بدات علاماته بعد وفاة السلطان الأيلخاني أبو سعيد سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) اذ دخلت البلاد في حرب اهلية كان من نتائجها ان انقسمت الدولة الأيلخانية إلى عدة دويلات ففي أواخر ذي الحجة سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) اعلن الشيخ حسن ابن ايلكانويان الجلائري استقلاله في إقليم العراق العربي وخوزستان وديار بكر وكان ذلك بداية لتأسيس الحكم الجديد للأسرة الجلائرية التي أصبح الشيخ حسن الحاكم الحقيقي والرسمي لها متخذا من بغداد عاصمة لدولته الفتية(١).

وفي المقابل استقل غريمه الشيخ حسن بن تيمورتاش بن جوبان والملقب بحسن الصغير في إقليم أذربيجان متخذا من تبريز عاصمة الأيلخانيين عاصمة لدولته الفتية والتي يطلق عليها اسم الدولة الجوبانية(٢).

وفي يزد في إقليم فارس استقل حاكم يزد مبارز الدين محمد آل مظفر الذي كان قد عينه السلطان أبي سعيد حاكما على هذه المدينة سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) وبعد انهيار الدولة الأيلخانية استقل مبارز الدين في يزد ليؤسس فيها اتابكية يزد وشملت مناطق نفوذها إقليم فارس وبلاد الجبل وكرمان(٣).

اما في إقليم خراسان فكان السربدارية هم القوة الأكثر تأثيرا على أوضاع هذا الإقليم والسربدارية هي انتفاضة شعبية ظهرت في خراسان عرفت بهذا الأسم اي ((الثوار الفدائيين)) الذين على استعداد لإيصال رؤوسهم إلى حبل المشنقة لاجل نصرة قضيتهم، وقد استمرت الانتفاضة السربدارية من سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٥م)والى سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) وكان زعماء هذه الانتفاضة من الدراويش والصوفية وحركات فكرية دعوا إلى

(١) النجار، رغد عبد الكريم احمد: العراق في العهد الجلائري- دراسة سياسية – رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٥م، ص٤٥.

(٢) اقبال: تاريخ المغول، ص٤٤٣- ٤٤٤.

(٣) اقبال: تاريخ المغول، ص٥٢٦- ٥٣٠.

مقاومة الظلم والطغيان المغولي وانضمت اليها الجماعات الفقيرة والمعدمة. وقد تمكن السربدارية من تأسيس كيان سياسي لهم في خراسان بحيث أصبح في عهد الأمير يحيى كراي (٧٥٤– ٧٥٩هـ/ ١٣٥٣– ١٣٥٨م) تشمل فضلاً عن خراسان مدناً من إقليم فارس كطوس ومشهد وكانت سبزاور مقرا لحكمهم(١).

جميع هذه الدول التي ورثت املاك الأيلخانيين كانت في صراع بعضهم مع البعض الآخر، وكل واحد منهم سعى لضم مناطق نفوذ الآخر وقد لا يتسع لنا المجال في التطرق للصراعات بينهم ولكن سنورد مثالاً واحداً عن تبريز حيث تصارعت عليها ثلاث قوى فقد انتزع جاني بك خان مغول القفجاق حكمها من الملك الأشرف الجوباني سنة (٧٦٨هـ/١٣٥٧م) (٢) وفي سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م) تمكن السلطان الجلائري اويس من طرد حامية بردي بك منها ليتخذها عاصمة للدولة الجلائرية(٣)، والجلائريون بقوا في حالة صراع مع باقي القوى المحلية دون ان تظهر منها أية قوى لها القدرة على التطلع لتحقيق مكاسب لها في ما وراء النهر.

وإذا ما انتقلنا إلى سلطنة دلهي الإسلامية والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة (٥٨٨هـ/١١٩١م) عندما افتتحها الأمير محمد بن سام الغوري في هذا العام(٤) وقرر إقامة حكم السلطنة الإسلامية فيها كي يتفرغ هو لفتح مناطق الشمال الهندي، فامر عليها احد أكفأ قادته وهو السلطان قطب الدين ايبك الذي كان من صفوة مماليك السلطان محمد الغوري وهو أول حاكم مسلم لأول أسرة إسلامية مملوكية والتي سميت بالمماليك وحكمت (٦٠٢– ٦٨٦هـ/١٢٠٥– ١٢٨٨م) وكان آخر سلاطينها من هذه الأسرة معز الدين الذي انشغل بالملذات الشخصية نآسيا امور السلطنة حتى قام بالملك بعهد نائبه فيروزشاه الخلجي ليبدا حكم الأسرة الخلجية(نسبة إلى خلج) موقع قرب غزنه، وهي ثاني الأسر التركية لسلطنة دلهي(٦٨٦– ٧٢٠هت/١٢٨٨– ١٣٢٠م) وكان اشهر سلاطين دلهي

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٦٧– ٣٦٩؛ اقبال، تاريخ المغول، ص٤٥٥– ٤٦٣.

(٢) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج١، ص٥٢٨– ٥٣٠.

(٣) الجاف، حسن: الوجيز في تاريخ إيران، منشورات بين الحكمة بغداد، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٣٦٨.

(٤) أبو الفداء، عماد الدين بن اسماعيل بن محمد: المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية، ج٤، ص٢٨.

محمد تغلق (٧٢٥- ٧٥١هـ/ ١٣٢٥- ١٣٥٠م) وشهدت السلطنة على عهده اكثر من (١٤) حركة تمرد[١] وكان معظم سني حكمه يقارع الخارجين على نفوذه كما ان سلطنته كانت محل استهداف مباشر من قبل المغول الجغتائيين وقطاعي الطرق[٢] وعلى العموم فان سلطنة دلهي في عهده وعهد خلفه فيروز تغلق (٧٥١- ٧٩٠هـ/ ١٣٥١- ١٣٨٨م) لم تشهد حالة استقرار وقد لخص لنا المستشرق هنري بول وميوجب، بأن حروب السلطان محمد تغلق من اجل الدفاع عن السلطنة في اغلب الأحوال كانت كارثية جلبت له ولشعبه المزيد من التعاسة والمزيد من التذمر[٣]، وعموما فان خططه الحربية كانت دفاعية لدرء الأخطار عن سلطنته، ومعظمها كانت قادمة من مغول النوكداريين التي تزايدت في نهاية عهده وسببت له متاعب كثيرة، وفي عهد خلفه فيروز تغلق، فان أوضاع البلاد ازدادت تدهورا حتى انه اضطر إلى نقل العاصمة من دلهي في الشمال إلى كولبركه في جنوب الهند[٤].

اما الأوضاع السياسية في إمبراطورية الصين فهي الأخرى كانت الأشد اضطرابا في هذه الفترة حيث كانت ثورات الصينيين قد أرهقت حكم خان المغول فيها غوزكسينغ (٧٢٩- ٧٦٦هـ/ ١٣٢٨- ١٣٦٥م) حتى وصفت حالة البلاد على عهده بالفوضى فتذكر انه (كان هناك هجوم في الشرق واضطهاد في الغرب وأعمال انتقامية في الجنوب وحرب في الشمال)[٥] وكان اخطر ما واجه هذا الخان هو ثورة جمعية اللوتس البيضاء السرية والتي تأسست سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م) وكان أتباعها من الفلاحين وانطلقت من شاندونغ لتمتد إلى دلتا نغسي ولتستمر، وفي مطلع خمسينات القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أصبحت من القوى ما جعلها تسيطر على معظم انحاء

(١)المشهداني، ياسر عبد الجواد حامد: الهند من خلال رحلة ابن بطوطة، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى عمادة كليه التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥م، ص٢٠.

(٢) جاكسون: سلطنة دلهي، ص٤٠٨- ٤١٠، ٤٦٦- ٤٧٤.

(3) Yule, H: Cathay and Way Thither Hakluyt Society, London, 1960, p.12, Mujeeb, M: The Indian Muslims, London. 1967, p.47.

(٤) المشهداني: الهند، ص٣٤.

(٥) هوخام: تاريخ الصين، ص٢٤٧.

الصين، وترافق معها قيام ثورة العمائم الحمراء الذين سيطروا على مدينة كانتون[١] وما زاد الطين بلة تحطم السدود على النهر الأصفر فدمرت كارثة الفيضان سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٥١م) الأراضي المحيطة بالنهر وجرفت المياه بيوت ومزارع الفلاحين دون ان يستطيع الخان ان يحرك ساكناً[٢] سوى الحفاظ على ما تبقى من سلطته في حدود العاصمة بكين واصبح حاله كحال اخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله (٦٤٠- ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢- ١٢٥٨م) والذي لم تكن حدود سلطته الفعلية تتجاوز حدود ضواحي بغداد عندما غزاها هولاكو واحتلها سنة(٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

اما دولة مغول القفجاق فهي الأخرى ظهر عليها خطر التمزق، فقد اصيب البلاط المغولي باضطراب شديد عندما أقدم الخان جاني بك (٧٤٢-٧٥٨هـ/١٣٤١- ١٣٥٧م)على قتل اثنين من إخوته بحجة التآمر عليه[٣]، وفعل العمل ذاته ابنه بردي بك (٧٥٨- ٧٦٠هـ/ ١٣٥٧- ١٣٥٩م) عندما اقدم على قتل اثنى عشر من اخوته كي لا ينافسوه على الخانية[٤]. وعلى عهدهما شهدت الدولة انتشار الطاعون في سنوات (٧٤٧هـ/١٣٤٨م، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٩م، ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م) [٥] الذي حصد عشرات الآلاف من السكان وليعاود انتشاره في سنوات لاحقة، كما شهدت البلاد حالة انكماش حركة التجارة بشكل لم يعهد لها مثيلا في العهود السابقة بسبب تكرار مرض الطاعون والحرب بين الجنوبيين والبنادقة حول مدينة تانا على ساحل بحر ازوف بالقرب من مصب نهر الدون ونجاح العثمانيين سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٤م) في عبور مضيق الدردنيل وانشاء موطئ قدم له في الشاطيء الأوربي وتهديدهم لحركة التجارة في المضايق فضلاً عن توقف تجارة طريق الحرير القادم من الصين بسبب الاضطرابات في الصين وآسيا الوسطى فسبب ذلك حرمان هذه الخانية من الموارد التي كانت تتلقاها التجارة في تسليح جيشها،

(١) اليسيف: تاريخ الصين، ص١٢٠- ١٢١؛ هوخام، تاريخ الصين، ص٢٤٧- ٢٤٨.

(٢) اليسيف: تاريخ الصين، ص١٢١.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٢٤؛ الرمزي، تلفيق الاخبار،ج١، ص٥٢٥-٥٢٦.

(٤) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج١، ص٥٣٣.

(٥) شبولر: العالم الإسلامي، ص١٠٢.

كل ذلك ولد حركة صراع داخلي على السلطة فاستقل الولاة والقادة بما تحت ايديهم وتمزقت الدولة بحيث لم يكن للخان من سلطة سوى على العاصمة سراي(١).

بعد كل هذا نستخلص ان الواقع السياسي لهذه الدول ان اية دولة منها لم تكن مؤهلة للقيام بأي عمل عسكري يجعلها قادرة على التدخل أو الاستحواذ على إقليم بلاد ما وراء النهر أو جزء منه فأعطى الفرصة لقوة داخلية ناشئة ظهرت في كاشغر قدر لها التدخل لتقضي على الكيانات المحلية في بلاد ما وراء النهر وتمهد السبيل لظهور تيمورلنك وليؤسس له إمبراطورية على أملاك امبراطورية جنكيزخان.

يعود تأسيس خانية كاشغر إلى الأمير توغلق تيمور الذي ولد سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)(٢)، والمصادر التي بين أيدينا لا تشير إلى سلسلة نسب هذا الأمير، ولكن المؤكد انه قد نسب نفسه إلى أسرة الجغتائيين مع ان المؤرخ الروسي بارتولد وهو مختص بتاريخ آسيا الوسطى يقر بأنه لا توجد أية إشارة في المصادر القديمة ولا في المصادر المتأخرة تدلل على انتماء توغلق تيمور إلى عائلة جغتاي الجنكيزخانية، وما متوفر من معلومات هو ان هذا الأمير وهو شاب توفي والده فتزوجت امه أميل خواجه الملقب بايسان بوقا، وبايسان هو بن دوا حفيد جغتاي، ومن اجل ان يعطي توغلق تيمور العراقة لاصله نسب نفسه للأسرة الجغتائية وأشاع بأن والده هو بايسان بوقا(٣). وهذا الأمر ليس بالغريب في المجتمعات المغولية والتركية، فكثير من الأسر الحاكمة عمدت على ان تعطي لنفسها عراقة النسب مع انها ليست كذلك، كي تحضى بالقبول لدى رعاياها(٤).

كانت التركستان محطة لهجرة اعداد كثيرة من قبائل بدو منغوليا اليها في مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وقد كانت قبيلة الدوغلات واحدة من هذه

---

(١) شبولر: العالم الإسلامي، ص١٠٢- ١٠٣؛ شبولر: المغول في التاريخ، ص١١٨- ١١٩؛ يكوبوفسكي، تيمورلنك، ص١٢١؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، دار النفائس، ٢٠٠٧م، ص٨٧.

(٢) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢١٢.

(٣) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢١٣.

(٤) قداوي، علاء حمود: تاريخ العراق في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٣م، ص٤٤.

القبائل ممن استقرت في التركستان الصينية، وضمت أجزاء منها تحت نفوذها، وفي عهد زعيمها أميل خواجه دخلت كاشغر تحت نفوذ هذا الأمير الذي بدوره منح حكم هذه المدينة لتوغلق تيمور ونصبه خانا عليها(١). وقد استغل توغلق تيمور حالة الفوضى التي عاشتها الصين في العقد الرابع من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بأن فرض سلطته على كل التركستان الصينية مدعيا ان جغتاي كان قد منحها لجده، وهو ادعاء لا يرتقي إلى المصداقية(٢)، وجاء به كي يبرر حكمه لها.

كان توغلق تيمور مطلعا على اوضاع بلاد ما وراء النهر وما يؤكد ذلك حادثة كانت لها دلالة في ذلك وكانت وراء إسلامه وقومه وملخصها ان رجل من اهل التقوى والورع من اهل بخارى يدعى بالشيخ جمال الدين كان قد صحب جماعة من التجار صادف طريقهم ان مر بأراضي صيد لتوغلق، فغضب عليهم لانتهاكهم حرمة هذه الأرض وسألهم بتهكم كيف تجرؤا على دخول هذه الأرض، فأجاب الشيخ بأنهم غرباء، ولا يعلمون انهم يجوسون ارضاً محرمة، ولما علم توغلق انهم من الفرس قال (ان الكلب اغلى ثمنا من اي فارسي) فرد عليه الشيخ قائلا (ان ذلك صحيح لو انه لم يدن بالدين الحق) فراع هذا الجواب توغلق وجعله يستفسر عن هذا الدين من الشيخ الجسور فانتهز الشيخ هذه الفرصة وعرض عليه قواعد الإسلام في غيرة وحماس انفطر لها قلب توغلق حتى كاد يذوب، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها توغلق بضلال معتقداته وفسادها وقال(ولكن إذا اعتنقت الإسلام الآن، فلن يكون من السهل ان اهدي رعاياي إلى الصراط المستقيم، فلتمهلني قليلا، فإذا ما تمكنت من توحيد بلاد جغتاي التي هي الآن منقسمة إلى إمارات صغيرة فعد إلي)(٣).

وهكذا نستشف من هذه الرواية ان توغلق، كان مطلعا على حالة الانقسام التي كانت عليها بلاد جغتاي سواء أكان في التركستان الغربية أو في بلاد ما وراء النهر، وقد تحقق له الاستحواذ على المناطق المفتوحة التي كانت قد خليت من اية سلطة سوى

(١) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢١٣– ٢١٨.

(٢)بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٢١٨.

(٣) ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٦٦– ٢٦٧.

سلطة القبائل البدوية الرحل في الأجزاء الجنوبية من التركستان الغربية والتي سميت بمغلستان اي ارض المغول(١).

ومن مغلستان قاد توغلق تيمور جيشه المكون من خمسين ألف جندي(٢) سنة (٧٦١هـ/١٣٦٠م) نحو بلاد ما وراء النهر التي لم يكن بها حاكم قادر ان يجمع حوله الحكام المتنازعين للوقوف في وجهه، وبطبيعة الحال لم يكن في مقدور احدهم على انفراد مقاومته، فأستسلم له حاكم خجنده بايزيد الجلائري ودخل سمرقند دون مقاومة ومنها تقدم نحو كاشكدريا ففضل حاكمها حاجي برلاس على الانسحاب منها إلى خراسان فأتاح الفرصة بانسحابه لابن أخته تيمور لتبؤ زعامة قبيلة برلاس بدلا من حاجي، والتقدم إلى توغلق تيمور معلنا الدخول في طاعته، فرحب توغلق به ومنحه حكم كاشكدريا(٣).

وباسم توغلق تيمور بدأ يعمل على تعزيز نفوذه بالقضاء على نفوذ بعض الأمراء المحليين وإضعاف مكانة آخرين، فقد تخلص من بيان سلدز حاكم سمرقند(٤) كما تمكن من ألحاق الهزيمة بحاجي برلاس وبايزيد الجلائري وتدمير قواتهما ثم ما لبث ان عقد صلحاً معهما كي يتفرغ للأمير خضر يسوري ذي النفوذ في منطقة كش وتمكن من ان يهزمه(٥).

هذا التنامي في قوة تيمور اخافت كثيرا توغلق تيمور ولوضع حدً لها دخل بجيشه بحملة ثانية سنة (٧٦٢هـ/١٣٦١م) بلاد ما وراء النهر حيث اعاد تثبيت حكمه فيها وعين ابنه الياس خواجه نائبا عنه فيها، وجرد تيمور من قدراته العسكرية، وامر ابنه بقتله إذا ما

---

(1) Hookham: op. cit, p.13- 15, 38.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣٧٠.

(٣) الشامي، نظام الدين: ظفرنامه، بسعي واهتمام فليكس تاور، براغ ١٩٣٧م، ص١٨؛ تيمور، تزوكات تيمور، ترجمه من المغولية إلى الفارسية: بو طالب حسيني، اكسفورد كلاردون، ١٧٨٣م، ص١٧- ١٨؛

AL-Yazdi, Sherefedden Ali: Zefer Name, Trans to English be Darby London, 1723, vol, 1. P.43.

(4) Al- Yazdi: Ibid, vol, p.23

(5) Unknown: Modern history, Bieng A continuation of the universal history , London published after , 1723, vol,5, p. 212- 213.

خرج عن طوعه[١] وعاد تغلق بعدها إلى موطنه، ويبدو ان تيمور اكتشف نية الياس بقتله فهرب مع مجموعة من أتباعه ليقوم بغارات على مناطق متعددة من اجل الحصول على الغنائم لتمويل الأتباع الذين اخذت أعدادهم بالزيادة يوما بعد يوم، وفي احدي الغارات في سجستان أصيب بسهم في ساقه اليمنى جعله أعرج طيلة حياته، ولهذا اخذ يطلق عليه اسم تيمورلنك بالفارسية تعني الأعرج اي تيمور الأعرج[٢]. ولم تثنه هذه الجراح عن عزمه على تقويض حكم توغلق في بلاده فأخذ يشن الغارات المدمرة على العديد من المدن، ثم قرر مواجهة الياس خواجه بعد ان ازدياد عدد أنصاره، وعند ترمذ أنزل الهزيمة بقوات الياس خواجه وذلك سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٣م)[٣]، فأستثمر هذا الانتصار بضم بدخشان[٤]، وحاول الياس خواجه بجيش قوامه ثلاثون الف فارس القضاء على تيمور فاشتبك معه بعدة معارك لم تحسم نتيجتها لاي طرف لحين ان جاء خبر وفاة توغلق تيمور فاستغل تيمور ذلك بأن هاجم قرب خجنده جيش الياس خواجه الذي انهارت ميمنة وميسرة جيشه فلاذ الياس بالفرار عبر سيحون إلى مغلستان[٥]، فاستغل تيمور هذا الانتصار بان دخل سمرقند التي كانت حامية الياس خواجه قد تركتها حال تقدمه اليهان فاتخذها عاصمة له، وتم هذا في نهاية ربيع سنة (٧٦٥هـ/١٣٦٤م) لتتساقط بيده بعدها المدن الواحدة تلو الأخرى[٦] ليغدو تيمور سيداً بلا منازع على بلاد ما وراء النهر، وعدّ تيمور نفسه وريثا لها بعد حروب استغرقت بقية حياته حتى وفاته في (١٧ شعبان سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) وهو في طريقه لغزو الصين.

وهكذا بتأسيس تيمورلنك لدولته تكون آسيا الوسطى قد طوت صفحة من تاريخها لتبدأ على عهده صفحة جديدة كانت لا تقل دموية عن سابقتها.

---

(1) Unknown, Ibid, vol,5 p.214.

(٢) الشامي: ظفرنامة، ص٢١– ٢٢؛ AL– Yazdi, op.cit, vol,1 p.38.

(3) AL–Yazdi: Ibid, vol. 1, p.42– 43.

(٤) ابن عرشاه: عجائب المقدور، ص٣٥؛ AL–Yazdi: Ibid , vol. 1, p.43

(5) AL– Yazdi: Ibid, vol. 1, p.47– 52, Unknown, op.cit , vol, 5, p.219.

(٦) تيمور: تزوكات تيموري،ص ٨٣– ٨٥؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص٣٥، ٣٧– ٣٨

Mongol Central Asia Khania
Political Study (624-765 AH / 1226- 1364 AD)

Prof.Dr.Alaa Mhmood Kdawi
Asst. Prof.Dr.Ragd Abd-Alkreem Ahmad

Abstract

Many studies covered the history of the Mongol era, beginning with the formation of the Genghis Khan Empire, the Mongol invasions of the Islamic levant, the overthrow of the Abbasid caliphate in Baghdad and the Mamluk Mongol relations, as well as studies related to the Mongol political entities such as Khaniyah Mongol al-Kubajak, Ilhanah Hulaku and his family, and the Mongol Empire under the sons and grandsons of Genghis Khan. The trait of Central Asia is so small that we cannot observe one study that has fulfilled the right of this traitor, and we estimate that each one of them has had to deal briefly with its events to complement the subject of the empire in general Or relations with countries with this or a city history.